18me. année No 862

Le Caire - 9 - 1 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٩ — ٩ يناير سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

الوضع اللغوي*

وهل للمحدثين حق فيه؟

يذكرنى موضوع الوضع وهل للمحدثين حق فيه بطائفة من البديهيات كان المعلمون الطيبون يكلفون بها تلاميذهم، كفضائل العلم، ومحاسن الأدب، وفوائد الثياب، فيكتبها التلاميذ على أنها واجب يؤدى، ويقرأها المعلمون على أنها جمل تصحح. والواقع أنى سألت نفسى حين اقترح على هذا الموضوع: ما الفرق بين سؤالنا هل للمحدثين حق فى الوضع وسؤالنا: من الذى يملك على التراث حق الانتفاع به وحق التصرف فيه؟ آلميت الذى ورث ثم غاص فى أعماق العدم، أم الحى الذى ورث ولا يزال يضطرب فى آفاق الوجود؟ أو سؤالنا: من الذى يملك أن يزيد فى اللغة أو يهذب منها وهى وسيلة الفهم والإفهام؟ آللسان الذى سكت وبلى وانقطعت أسبابه بالحياة، أم اللسان الذى لا يزال يتحرك ويلغو ليسمى كل وليد تضمه القريحة، ويعبر عن كل جديد تخلقه الحضارة؟

أليست الأجوبة عن هذه الأسئلة هى من نوع ذلك الكلام الذى كان يمتحن به عبقريات الأطفال فى سنيهم الأولى؟

إذن ما الذى سوغ أن يكون مثل هذا الموضوع من الموضوعات التى أقرها المجمع لتلقى فى المؤتمر؟ سوغه أن الحق فى الوضع اللغوى على وضوح الرأى فيه، كان عقبة من العقبات التى أقامها المجمع لنفسه بنفسه وذلك أن المجمع رهو وحده السلطة التشريعية العليا للغة العربية يستطيع فى حدود قواعدها الموضوعة وقوالبها الموروثة أن يزيد عليها وينقص منها ويغير فيها، ولكنه يعطل مختاراً هذه القدرة التى لم يؤتها غيره باستشارته القدماء فى كل إصلاح لغوى يقترحه، وفى كل قرار نحوى يقره. واستشارة الماضين فى شؤون الباقين مع تبدل الأحوال وتغير الأوضاع وتقدم العلوم وتفاوت العقول واختلاف المقاييس، تكون فى أكثر الأحيان معطلة أو مضللة. فلو أن معالى رئيس المجمع استشارهم مثلا فيما ينقل من كتب أرسطو لقال له ابن فارس وهو من رجال القرن الرابع: « زعم ناس أن علو ما كانت فى القرون الأوائل والزمن المتقادم، وأنها درست وجددت منذ زمان قريب، وترجمت وأصاحت منقولة من لغة إلى لغة؛ وليس ما قالوا ببعيد، وإن كانت تلك العلوم بحمد الله وحسن توفيقه مرفوضة عندنا »

ولو أن معالى وزير المعارف استشارهم مثلا فى البعثات التى يبعث بها فى طلب العلم إلى أوربا وأمريكا لقال له الشيخ محمد عليش مفتى المالكية فى أواخر القرن الثالث عشر فى رسالته التى رد بها على عالم من علماء الجزائر أفتى بجواز لبس القبعة للطلاب المسلمين الذين يطلبون العلم فى فرنسا مانصه: « تقرر فى شريعة

* ص المحاضرة التى ألقيت فى مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى جلسة ٢٦ ديسمبر الماضى

الإسلام أن السفر لأرض العدو للتجارة جرحة فى الشهادة ومخل بالعدالة فضلا عن توطنها وطلب العلم بها . والمقرر فى شريعة المسلمين أن المطلوب تعلمه من أقسام العلم ، العلوم الشرعية وآلاتها وهى علوم العربية ، وما زاد على ذلك لا يطلب تعلمه بل ينهى عنه . ومن المعلوم أن النصارى لا يعلمون شيئاً من العلوم الشرعية ، ولا من آلاتها بالكلية ، وأن غالب علومهم راجع إلى الحياكة والقبانة والحجامة وهى من أخس الحرف بين المسلمين ، وقد تقرر فى مريعتهم أنها تخل بالعدالة .

* * *

عرض المجمع الموقر لمسألة التعريب وهى مسألة حلها الشعر القديم والقرآن الكريم والسنة الصحيحة والدول المتعاقبة والطبيعة التى تنشىء الأمم بالتوالد والتجانس ، والحضارة التى تسعد عوزها بالأخذ والاقتباس ؛ ولكن المجمع رأى مع كل أولئك أن يستفتى فيه المتقدمين ، فقالوا :

— لا يملك التعريب إلا من يملك الوضع

— ومن الذى يملك الوضع ؟

— يملكه العرب الذين يعتد بعربيتهم

— ومن هم العرب الذين يعتد بعربيتهم ؟

— هم قوم محصورون فى حدود معينة من المكان والزمان لايتعدونها : حدودهم المكانية شبه جزيرة العرب على تفاوت بينهم فى درجات الفصاحة . وحدودهم الزمانية آخر المائة الثانية لسرب الأمصار ، وآخر المائة الرابعة لأعراب البوادى . هؤلاء هم الذين تنزل عليهم وحى اللغة ، وألهموا سر الوضع ، فكلامهم حجة ، وأقوالهم حكمة ، وصوابهم قاعدة ، وخطأهم شذوذ ، وضرورتهم مقبولة . .

— إذن من نكون نحن ؟

— طبقة مولدة فقدت أهلية الأصل فلا ترتجل ، وأضاعت مزية الفرع فلا تشتق . انما تتكلمون ما تحفظون . فإذا وقع لكم مالم يقع للعرب الخلص من الأعيان والمعانى فعبروا عنه بأى لسان تشاءون ولاشأن لنا به .

ولقد كان لنا أيها السادة غنية عن هذه الفتوى بحكم الرسول صلوات الله عليه حين سمع أن منافقا نال من عروبة سلمان الفارسى فدخل المسجد مغضباً وقال : « أيها الناس ، إن الرب واحد ، والأب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى » ونحن بحمد الله نتكلم العربية ونحرص عليها ونتعصب لها ونريد أن نهذب منها ونزيد فيها .

وكان بحسبنا فى تزييف قول ابن فارس : « ليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه » قول فيلسوف العربية ابن جنى : (ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) ، ولكن القدماء رووا قول الرسول ورووا قول ابن جنى ، وسمعوا كثيراً من نحو ذلك ، ثم ظلوا متبلدين يهابون الوضع ولا يقطعون فيه برأى . وإذا حاولنا أن نعلل هذا التبلد وتلك الهيبة كان أول ما يخطر فى الذهن تلك القداسة التى أسبغوها على اللغة العربية لصلتها الوثيقة بالدين ، فهى لغة القرآن والحديث ، وأداة التحدى والإعجاز ، ولسان الدعوة والخلافة ، فالعناية بها عناية بكلام الله ، والتعصب لها تعصب للغة الرسول ، ولذلك وضعوا النحو والصرف ، ورسموا النقط والشكل ، واستنبطوا المعانى والبيان ، وقطعوا بوادى الحجاز ونجد وتهامة ليسمعوا المناطق المختلفة ، ويجمعوا الألفاظ الغريبة ، فأخذوا أكثر ما أخذوا عن قبائل قيس وتميم وأسد ، وتحاموا الأخذ عن الأعراب الضاربين على التخوم الموبوءة بالعجمة ، وعن العرب المتصلين بالأجانب فى التجارة .

فعلوا ذلك ليدرأوا عن العربية شبهة العجمة ، ويبرئوها من تهمة الدخيل ، وظنوا أنهم استطاعوا ذلك فقالوا : ليس فى كتاب الله شىء من لغة العجم ، يتأولون بذلك قول الله تعالى « إنا جعلناه قرآناً عربياً » وقد جهدوا جهدهم فى التماس الأصول العربية لجميع الكلمات الأعجمية ، فجاءوا من ذلك بما لايتفق مع فضلهم ، كقولهم فى الخندريس مثلا ، وهى تعريب خندروس باليونانية : « الخندريس : الخمر القديمة ، واشتقاقه من الخدرسة ولم تفسر ، أو من الخدر لأن شارب الخمر ربما أصيب به ، أو من الخرس لأنه فى حال السكر يصير كالأخرس ! »

وقد حاول مثل هـــذه المحاولة فقيد المجمع المرحوم الأب انستاس مارى الكرملى فكتب طائفة من الفصول فى مجلته (لغة العرب) بعنوان (العربية مفتاح اللغات) رد فيها كثيراً من

الكلمات الأفرنجية إلى أصول عربية كقوله مثلا: إن كلمة imbecile الفرنسية ومعناها الأحمق، مأخوذة من الكلمة العربية باقل العيي العربي المشهور، ويقول إن القاف في العربية تكون كافا في اللاتينية وسينا في الفرنسية؛ فاذا رددناها إلى اللاتينية وجردناها من الزوائد كانت باكول أو باقل. وقد افتعل عليه أدباء الشام والعراق طرفا من مثل ذلك فزعموا أنه يقول إن (جرسون) أصلها العربي جارالصحون، خففت الراء والصاد ثم حذفت الحاء لعسر النطق بها

ولقد غلا الأقدمون في تقديس العربية حتى ادعوا أن واضعها الأول هو الله سبحانه، محتجين بقوله تعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها» وهي حجة لاتنهض بدعواهم إلا إذا ثبت أن الأسماء التي علمها الله آدم كانت عربية. والذين فندوا هذا الرأي وقالوا إن اللغة اصطلاح لا توقيف، أكبروا هذه اللغة عن أن يضعها الأعراب والأوشاب والعامة، فتوهموا لها واضعاً لم يسموه ولم يعرفوه، وإنما تخيلوه منقطعاً في خيمته للوضع، كما ينقطع الناسك في صومعته للعبادة، فيذهب إليه الناس كما يذهبون اليوم إلى القصاب والبدال، يسألونه ما اسم هذا الشيء، وما لفظ هـــذا المعنى، فيجيبهم عما سألوا فيحفظونه وينشرونه. قال صاحب الخصائص: «إن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها هجم بفكره على جميعها، ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفصيلها؛ وعلم أنه لابد من رفض ما شنع تأليفه نحو هع وقج فنفاه عن نفسه».

وقال صاحب المثل السائر: «حضر عندي رجل من علماء اليهود بالديار المصرية، فجرى ذكر اللغات وأن اللغة العربية هي سيدة اللغات، فقال اليهودي: وكيف لا تكون كذلك وإن واضعها تصرف في جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف؛ فمن ذلك اسم الجمل، فإنه عندنا في اللسان العبراني (كوميل) فجاء واضع اللغة العربية وحذف من الكلمة الثقل المستبشع وقال (جمل) ولقد صدق في الذي ذكره».

هذه القداسة أيها السادة التي كسبتها العربية من القرآن والحديث، أكسبتها أيضاً العرب وجزيرة العرب في تلك الحقبة المحدودة. مصداق ذلك أن علماء المصرين البصرة والكوفة لم يدعوا في البوادي العربية بقمة ولا صخرة ولا نبتة ولا حشرة ولا وحشاً من وجوه الأرض، ولا ظاهرة من ظواهر السماء، إلا عرفوها ووصفوها وسجلوها، ورووا ماقيل فيها من الشعر، وقصوا ماجرى عليها من الوقائع؛ ولم يتركوا من مناطق البدو ووسائل حياتهم ومظاهر اجتماعهم ومختلف عاداتهم لفظة ولا لهجة ولا حالة ولا أداة ولا لعبة إلا جمعوها ودونوها، حتى الكلمة الغريبة والعبارة المهجورة والصيغة الماتة، فاجتمع لهم من كل أولئك سجل محيط شامل فرضوه بفضل هذه القداسة على جميع المتكلمين بالعربية في العصور الأربعة والقارات الثلاث، فظلوا على رغم مابلغوه من السلطان والعمران والمدنية والعلم والأدب والفن يستعملون أمثال البدوي وصوره وأخيلته ومجازاته وتشبيهاته وكناياته، فيقولون مثلا: جاءوا على بكرة أبيهم، وألقى دلوك في الدلاء، وقلب له ظهر المجن، وضرب اليه أكباد الأبل، وركب إليه اكتاف الشدائد، واقتعد ظهور المكاره، وانبت حبل الرجاء، وضل رائد الأمل، وهو شـديد الشكيمة، وله غرر المكارم وحجولها، وإن حلمه أثبت من ثبير، وأوقر من رضوى، وأوسع من الدهناء. ولو ذهبت أستقصي هـذه الأوضاع وتلك التراكيب لما أبقيت في المعجم إلا المصطلحات التي فرضها الدين، والمعربات التي أقحمتها الحضارة.

ثم اعتقدوا أن اللغة قد كملت في عهد الرواية كما كمل الدين في عهد الرسالة، فختم الرواة السجل، وأغلق علماء اللغة باب الوضع، كما أغلق فقهاء السنة باب الاجتهاد، وتركوا الأمة العربية التي امتد ملكها من الهند والصين شرقا إلى جبال بيرانس غربا، تتعامل خارج البرصة، وتتجاوز حدود المعجم، كأنهم نسوا أن اللغة لايمكن أن تثبت ثبوت الدين، ولا أن تستقل استقلال الحي، لأنها ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم؛ والأغراض لاتنتهي، والمعاني لاتنفد، والناس لايستطيعون أن يعيشوا خرساً وهم يرون الأغراض تتجدد، والمعاني تتولد، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح، ولاعلة لهذا الخرص إلا أن البدو المحصورين في حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا بحدوث هذه الأشياء؛ ولم يضعوا لها مايناسبها من الأسماء:

ترتب أيها السادة على إغلاق باب الوضع، وتخصيص حكم القياس، وتقييد حق التعريب، وإنكار وجود المولد، وطرد الأمة العربية بأسرها خارج الحدود، أن حدث أمران خطيران كان لهما أقبح الأثر وأبلغ الضرر في كيان اللغة وحياة الأدب.

الأمر الأول طغيان اللغة العامية طغياناً جارفاً حصر اللغة الفصحى في طبقات العلماء والأدباء والكتاب والشعراء، يكتبون بها للملوك، ويؤلفون فيها للخاصة؛ وسيطر على حياة الأمة في شؤونها العامة وأغراضها المختلفة؛ لأن العامية حرة تنبو على القيد، وطبيعية تنفر من الصنعة؛ فهي تقبل من كل إنسان، وتستمد من كل لغة، وتصوغ على كل قياس. وبذلك اتسعت دائرتها لكل ما استحدثته الحضارة من المفردات المولدة والمقتبسة في البيت والحديقة والسوق والمصنع والحقل. والناس في سبيل التفاهم يؤثرون السهل، ويستعملون الشائع، ويتناولون القريب. وتختلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود. والنهاية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها، إذ تكون بسبب مرونتها وتجددها، أدق تصويراً لأحوال المجتمع، وأوفى أداء لأغراض الناس. وهذا ما حدث للغة اليونانية القديمة حين خلفتها اليونانية الحديثة، وللاتينية حين ورثتها الفرنسية والإيطالية والأسبانية. وهـــذا ما كان يحدث حتماً للعربية الفصحى لولا أنها لغة القرآن. واللغات السامية كما يقول (رينان) مدينة ببقائها للدين، فلولا اليهودية ما بقيت العبرية، ولولا المسيحية ما عاشت السريانية، ولولا الإسلام ما حفظت العربية.

والأمر الآخر حرمان الفصحى كل ما وضعه المولدون من الألفاظ، وما اقتبسوه من الكلمات؛ لأن اللغويين الذين أقاموا أنفسهم على أسرار اللغة مقام الكهنة على أسرار الدين، أبوا أن يعترفوا بهذه الثروة اللفظية الضخمة لصدورها عمن لا يملك الوضع والتعريب بزعمهم، فحرموا اللغة موردا ثرا كان يقيها الجفاف والذبول، ويؤتيها النماء والخصب. ولولا أن العلماء والمترجمين — وجلهم من غير العرب — تجاهلوا أوامر اللغويين في الوضع والتعريب لما استطاعوا أن ينقلوا إلى العربية علوم الأولين من فرس ويونان وهنود ويهود، ولما قال أبو الريحان البيروني في العربية: «وإلى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدانت وحلت في الأفئدة، وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والأوردة. والهجو بالعربية أحب إلى من المدح بالفارسية».

وقد أدى احتقار اللغويين للغة المولدين إلى احتقار الآداب لآداب العامة. فكما أن أولئك لم يدونوا في معجماتهم الكلام المولد، لم يدون هؤلاء في مؤلفاتهم الأدب الشعبي. ولو أنهم دونوا أحسن ما دار على الألسنة في جميع الطبقات والبيئات من الأمثال والحكم والمجازات والكنايات والطرف لوفروا للغة الفصحى وللأدب العالي مورداً لا ينضب ومادة لا تنفد. فإن العامة كانوا نسمة أعشار الأمة العربية وهي في أوج سلطانها، وأكثرهم أعناب أمم مختلفة الجنسية والعقلية والعقيدة، دخلوا في دين الله أرعاشوا في كنفه، واتخذوا العربية العامية لغة لهم أو دعوها معانيهم وتصوراتهم، وأفضوا إليها بأسرار لغاتهم؛ فكانت أمثالهم تسير، وأقاصيصهم تحكى، ومصطلحاتهم تنقل، ومواضعاتهم تذيع. فإذا كانت الفصحى نهراً تجمع من أمطار، فإن العامية بحر تجمع من أنهار. والنهر إذا أخلفه الغيث غاضت منابعه وجفت مجاريه، ولكن البحر إذا أخلفه رافد هنا أمدته روافد هناك.

ولست أذكر مزايا العامية لأهتف بها وأدعو إليها، وإنما ذكرتها لأقول إن سادتنا اللغويين وأدباءنا الأولين لو أنهم أزالوا هذا السد الذي جعلوه بين اللغتين لاكتسبت الفصحى من العامية السعة والمرونة والجدة، واكتسبت العامية من الفصحى السلامة والصيانة والسمو، ولكان لنا من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة واحدة تجمع بين محاسن هـــذه ومحاسن تلك. فأما مساوىء الفصحى أو عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشي المهجور من كل لغة. وأما مساوىء العامية أو حثالتها فتبقى على الألسنة التي تستذيقها من الطبقات الدنيا وتكون هي اللغة العامية التي لابد منها في كل لغة من لغات العالم؛ ولكن بالنسبة القليلة التي لا تطغيها على الفصحى ولا تفرضها على الناس.

* * *

سادتي: إن حق المحدثين في الوضـــع مقرر بالطبيعة فلا مساغ للنزاع فيه. وإن الذين أنكروه لم ينكروه بقول يناقش ولا بحجة تسمع. إنما قولهم فيه أشبه بقولهم في كتابة المصحف. فقد قالوا لابد أن نكتب القرآن بالرسم الذي كتب به في زمن عثمان، فنكتب الصلاة بالواو ونلفظها بالألف، ونكتب السماء بنيناها بأيد بياءين ونلفظهما ياء واحدة، ونكتب لشيء بألف زائدة بين الشين والياء ونتطقها بدونها. ولو كان هذا الرسم موحى من الله على رسوله لآمنا به وحرصنا عليه، ولكنه من عمل

ترجمة النشاشيبي بقلمه

لما أصدر صديقنا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي جريدته (البرهان) في طرابلس الشام سنة ١٩٢١ واطلع عليها المرحوم إسعاف النشاشيبي، وكان يومئذ في طور اليفاعة، راسلها بالأخبار وواصلها بالمقالات، ولم يكن الأستاذ صاحب البرهان يعرف من أمره شيئا، فكتب إليه يشكره ويسأله التعريف بأمره، فأجابه عن سؤاله بكتاب ممهب مؤرخ في جمادى الأولى سنة ١٣٤٠ وسف فيه من أمره ما كان يحس على ذكره في ذلك الحين؛ أما اليوم وقد أصبحوا جميعاً في ذمة التاريخ فلا ضير إذا نشرناه تفصيلا لما أجملنا من أمره رحمه الله

سيدي وأستاذي

أقبل يدك الطاهرة. وأتضرع إلى الله أن يشد أزرك، ويكون ردءك، ويبلغك ما تسمو اليه نفسك ويطيل بقاءك، فان ببقاءك بقاء الفضل والعلم والآداب. وبعد فقد جاءني كتاب الأستاذ أعزه الله وقرأته فأنست من كرم أخلاق صاحبه، وحدبه علي، وشغل باله من أجلي، ما شدهني وحيرني، وما استعبدني للاستاذ واسترقني. فلله أنت يامولاي، ولله أدبك؛ يأمرني الأستاذ أن أفرش له دخيلتي، وأوضح له أسباب شقاوتي. فانه رآني بكتبي اليه وبمقالاتي جميعها شقياً بائساً، حرج الصدر، ضيق النفس، مضطربا. وها أنا أسرد على سيدي قصتي. وعلة غصتي، مجملا ذلك إجمالا، إذ أمر التفصيل يطول.

فاسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه وينتحب

إن سبب شقائي أدبي وأبي وأمي والمال. ذهبت منذ ١١ سنة إلى بيروت، ودخلت مدرسة فيها، وأنفقت أربعة أعوام. ثم جئت والدي وقلت له إني لم أظفر في هذه المدرسة بما تمنيته. فابعث بي إلى فرنسا أو سويسرا كي أتم ما ابتدأت به، وكي أتحلى بالعلم والفضل. فأكون فخراً لك. فاستحقر هذا الوالد مطلوبي وأنكره. وأبى أن يوصلني إلى أمنيتي، وأراد أن أرى الدنيا بعينه وأنا لا أريد أن أراها إلا بعيني. وبغى أن أذر العلم وأدير أعماله وقراه. وبغيت أن أكمل تحصيلي، حتى إذا كمل اهتممت بأشغاله. وقد قلت له أن غلاما صغيراً عمره (١٧) سنة ليس من العدل ولا العقل أن تميله عن الدرس وتقسره على العمل. فلم

قوم كانوا قريب عهد بالخط فوقع فيه الخطأ والنقص والإشكال. والغرض من كتابة القرآن أن نقرأه صحيحاً لنحفظه صحيحا، فكيف نكتبه بالخطأ لنقرأه بالصواب، وما الحكمة في أن نقيد كتاب الله بخط لا يكتب به اليوم أي كتاب؟ وإذا احتجنا في دفع هذه الأقوال إلى غير الوجدان فلن يصح في الأذهان شيء كما يقول أبو الطيب.

بقي أن نعرف من هو المحدث الذي يملك حق الوضع. أهو فرد معين أو جماعة معينة كما كان يظن الأوائل، أم هو كل فرد وكل جماعة يتكلمون العربية وتدعوهم الحاجة إلى وضع اللفظ للمعنى الذي ولدوه، وللشيء الذي أوجدوه؟ إن حق الوضع حق مطلق لا يتخصص بأحد ولا يتعلق بظرف، يملكه الفرد والجماعة، وتملكه الخاصة والعامة؛ فالعلماء يضعون مصطلحات العلوم، والرياضيون يضعون مصطلحات الرياضة، والأطباء يضعون مصطلحات الطب، والفقهاء يضعون مصطلحات الفقه، كما أن الصناع يضعون لغة المصنع والورشة، والزراع يضعون لغة الحقل والحظيرة، والتجار يضعون لغة الدكان والسوق، ومجمع اللغة يشارك هؤلاء وأولئك في الوضع والتعريب، ويختص دونهم جميعا بالتسجيل والتصديق. فأيما كلمة توضع لا تدخل في اللغة قبل أن يسمها بميسمه ويدخلها في معجمه؛ وبدون ذلك تقع فيما وقع الأولون فيه من تعدد الوضع في المرتجل واختلاف الصيغ في المشتق.

وإذا سمحتم أيها السادة أن أجعل لهذه الكلمة نتيجة إيجابية فأني اتقدم إلى معالي رئيس المجمع باقتراح يشمل أربعة أمور أرجو أن يأذن في عرضها عليكم لتحصوها وتصدروا قراركم فيها:

١ — فتح باب الوضع على مصراعيه بوسائله المعروفة وهي الارتجال والاشتقاق والتجوز.

٢ — رد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة

٣ — إطلاق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه، فان توقف القياس على السماع يبطل مفعوله.

٤ — إطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة.

فاذا أقررتم هذا الاقتراح أيها السادة دفعتم مرة العدم والعقم عن هذه اللغة الكريمة التي سمقناها في القرن الخامس. تصف ناقة طرفة فتسمي أعضاءها عضواً عضواً، وتنعت أوضاعها وضعاً وضعاً، في ٣٤ بيتاً من معلقته؛ ثم نراها في القرن العشرين تقف أمام سيارة فورد بكاء بلهاء، تشير ولا تسمي، وتجمجم ولا تبين. وإني أشكر لكم يا سادتي حسن التفاتكم وكرم اصغائكم؛ والله يهدينا الطريق ويلهمنا التوفيق.

حسن الزيات

يخفل بقولى ولا يطاوعنى . وأخذ يضغط على ويشد . ويريد أن يخلقنى بأخلاقه . وأنا كلما ازداد ضغطه ازداد عنادى . وإصرارى على رأيى . فأنا ووالدى منذ سبع سنين فى نضال وجدال ، وشغب وصخب ، بسبب هذا المشكل الذى لم يحل حتى يومنا هذا . ولوالدى بمقاومتى فى أمر العلم والأدب غير ذلك الضغط فصول مضحكة جدا منها أنه يذهب إلى الجرائد التى تنشر فى القدس ويافا فيتضرع إلى أصحابها ألا تنشر لى شيئاً . ومنها أن وكيل (الأهرام) بادر سنة يطلب منه قيمة اشتراكه ، فدفعها وقال له : لعلها لا تعجبه . فسأله الوكيل لماذا ؟ قال لأنكم تنشرون لولدى كل ما يبعث به اليكم . ومنها أن فريقا ممن ظلم اليراع فى سوريا وفلسطين يجد خير طريق لنيل الشهرة أن يطعن فى ويسبنى . فإذا قرأ والدى ذلك يركض إلى ويقول : أنظر إلى نتيجة العلم والأدب ! ما نالنا منه إلا السب والشتم . ومن العجب أن الرجل متعلم متنور مطلع ، وهو من الأفذاذ فى هذا اللواء ، وممن يسعون فى نشر العلم . ويحضون الناس عليه ، وينفقون فى خدمته ما ينفقون . يريد أن ترتقى أولاد سواه ولا يريد أن يرتقى ولده الوحيد ، وجناه فى هذا العالم ! وإذا لامه بسبب ذلك أحد يقول له إن العلم طريق للمال . فإذا نال المرء المال وجب أن يلهو به عن سواه . وإنى كتبت لولدى من القرى والأملاك ما كتبت فيجب أن ينبذ ما هو فيه ويعكف على الشىء المفيد . وقد بينت لوالدى وللناس أن طلب العلم لا يعيقنى عن إدارة اشغالى . وإن من يضيف إلى المجد المالى والمجد النفسى المجد العلمى والأدبى لن يكون مجنوناً . وإن والدى يجب أن يحمد الله الذى شغلنى بهذا ولم يشغلنى بعشق الفتاة الفلانية الاسرائيلية أو المسيحية ، والانغماس فى الشهوات كما شغل سوای من أبناء السراة الأغنياء من عائلتى وغيرها الذين يعرفهم هو واحداً واحدا . كنت مع هذا الرجل فى مشكلة واحدة فأبى الشقاء إلا أن يعقبها باختها . فأراد والدى منذ ثلاث سنين أن يتزوج امرأة أخرى (وهو فوق الستين) ، فجاءنى وقال لى : ليس لى من ولد سواك ، وإنى أخاف الحوادث (يعنى يخاف أن أفطس) فأريد أن أتزوج . فقلت له : تزوج أربعين امرأة . فهذا مما يسرنى . لكن ارفع ضغطك وشدتك عنى . فقد كدت تقتلنى . فلما تزوج أكبرت أمى عمله ، وأبت أن تسكن معه . فغادرت إكراما لها دار أبى واستأجرت بيتا حقيراً أو كوخاً . وسكنا معا . فأسخط هذا العمل أبى ، وأجبرنى على أن أعود وإياها فأبت وأبيت حذرا من الشقاق والصياح الذى يقع بين الضرائر (وسيدى سيد العارفين بأحوال المرأة والعائلة الاسلامية واضطرابها) . فازدادت حينئذ الشدة والمحنة حتى آثرت الانتحار (كنا فى مشكلة واحدة فصرنا فى اثنتين ؛ والآن يأتى ذكر الثالثة) . ولم يمض على ذلك سنة أو أقل حتى بدا لوالدى أن يبيع (وكالة باتة ، القوة) فى المحكمة الشرعية بأملاكى جميعها (وأملاكى هو الذى كتبها لى ، وأصل المال من الوالدة) فقلت : هذه هى الطامة الكبرى ، ورفضت طلبه . عندئذ ازداد الضغط وازداد طغيانه . والوالد ؛ فتذبذبت بين أمرين إما الانتحار ، وإما السفر إلى أوروبا ومغادرة هذه البلاد . فبعت قطعة أرض لى بثمن قليل ليوصلنى إلى جنيف . ويكفينى سنة واحدة ثم قلت : يخلق الله مالا تعلمون . فلما علم بما أتيت عمل ما عمل

وكان ما كان مما لست أذكره فظن شراً ولا تسأل عن الخبر

فتركته حينئذ وقطعت كل علاقة به واجتزأت بعشر ليرات سر أنفقها على وعلى أمى . وقلت لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . وقد أحدث الله نصف أمر : فانتخب والدى مبعوثا . استفادت القدس بانتخاب والدى لأنها لن تجد خيراً منه على ما أظن ، واستفدت أنا لأنه تركنى فاستريحت قليلا وتنفست . والحمد لله على كل حال . وهنا نكتة جميلة أذكرها لسيدى : لما فض مجلس المبعوثان اجتمع روحى بك الخالدى فى ناد فى الأستانة . فقال له أحد أصحابه : إنا نجد فى الجرائد ذكر اسعاف النشاشيبى من القدس كثيراً ونطالع له ما نطالع ، وأظنه يصلح للنيابة . فتبسم روحى من قوله . وقال إن اسعافا لم يجز له حتى الآن أن ينتخب المنتخب الثانوى فضلا عن أن ينتخب مبعوثا . هذا صحيح لكن إكراما لذلك الرجل فقد أرسلت والدى المبعوثان بالنيابة عنى ... ...

هذه قصتى مع والدى أورسيل والد (ابن الزيات) الأديب الوزير . وهى مجملة كثيراً . ولو أردت التفصيل لطال الأمر جدا . ولا يظن سيدى أن والدى استأثر بهذه الخلائق الغريبة (وان كان قد سبق فيها غيره) فآباء الأسر (الشريفة) الماجدة فى هذه الطبائع سواء . و (كل تراه من أبيه شاكيا) غير أن ألم ما

واحد من الأنباء بمقدار شعوره واحساسه وعقله .

يقول سيدى: الآن فهمنا قصتك فاسبب هذا الميل إلى (البرهان)[1] إذ لكل شيء في الكون سبب. فأجيب إن للاستاذ المغربي استيلاء على نفس (إسعاف) غريب لم يستوله أحد سواه والله . وقد كنت أطالع أقواله كلها على كرهي لقراءة أقوال المعاصرين . وأذكر أني اطلعت له في جريدة طرابلسية على فصل من كتابه (أحسن القصص) منذ تسعة أشهر أو أكثر أو أقل . وقد كنت قرأت التاريخ النبوي في كتب جمة ، ثم أطلعت على من قرأ هذا الفصل من أوله إلى آخره . ولقد وطنت النفس يوم سافرت إلى سوريا منذ سنتين على أن أحج إلى طرابلس لأرى فخرها . فحال دون ذلك مرض عراني وأنا في دمشق . وقد احتفي بي علماء دمشق وعلماء بيروت حين زيارتها احتفاء عظيما انساني أني أنا اسعاف : ذلك الغلام الصغير الحقير . ومن الذين غمروني باحسانهم وأكرموا مثواي الأستاذ البيطار والقاسمي وكرد علي والشرتوني والبستاني وغيرهم؛ أكرموني وهم يعلمون كما علم الأستاذ أني أمي جاهل . لكن اتبعوا قول أديب خراسان في ذلك الزمان .

لا تعجبن من عراق رأيت له
بحراً من العلم أو كنزاً من الأدب
واعجب لمن يبلاد الجهل منشأه
إن كان يفرق بين الرأس والذنب

علم سيدى ميلي اليه قبل انشاء جريدته ؛ فلما صدر (البرهان) وجاءني دون طلب مني، ورأيته ينظر إلى الحالة السياسية كما أنظرها أنا — ارتحت اليه أي الارتياح ، وأنشأت تلك الكلمة ثم أردت أن أخدم (البرهان) بما يجب على فعاق الذي عاق .

(أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

وكيف لا أجنح إلى خدمة أفضل جريدة في سوريا لأكبر كاتب سوري ، وأنا أرى مثل جريدة المفيد (وهي كما يعلم سيدى ويعلم أصحابها) سخيفة لسخفاء ، عامية لعوام ، يقدم لها المنتدى الأدبي في الاستانة (٥٠٠) ليرا عثمانية . كما أخبرني رئيس المنتدى نفسه يوم جاء القدس . وقد بينت له قدر الجريدة وقدر أصحابها فحوقل واسترجع . أنا يا سيدى لم أعتد مساعدة الجرائد ولا خدمتها . ولست مشتركا إلا بالبرهان وفي جريدة أخرى بيروتية كان صاحبها وكيلي أيام كنت في بيروت . وأما باقي الجرائد التي تأتيني وهي قليلة فهي تقدمة من أصحابها . بيد أني أود مساعدة (البرهان) وخدمته لأني أهوى صاحبه . وأكبر دليل على أني أهواه أن أطلعته على ما لم أطلع عليه أحدا ، وذلك أنه في رسالي مرة عابية بما لم أطالب به أصحاب (الجريدة) و (الأهرام) وغيرهم ؛ بل لم يكن لي معهم علاقة ، ولم أكن مشتركا في جرائدهم ولم تكن تأتيني .

الآن مل الأستاذ وضجر من حوادث اسعاف أو حوادث تلك وصاح : من أين جاءنا هذا الفرد يسرد علينا ما لا يهمنا وما لا يعنينا . حسبنا الله ونعم الوكيل على إسعاف وعلى فلسطين التي أخرجت هذا الولد . ولكن إذا علم أني ولد (والولد لا يعاتب) خف سخطه علي وربما خطر في باله بعد قراءة ما قرأ أن ينشيء مقالتين : (المقالة الأولى) الآباء والأبناء وعدم اتباع الآباء هذه القاعدة (لا تقسروا أولادكم الخ) و (الثانية) في أولاد السراة الأغنياء الذين أنعم الله عليهم فانغمسوا في الشهوات ، وأعرضوا عن العلم والأدب مع أنهم أقدر الناس على تحصيلهما بما توفرت لهم الأسباب . فاذا عزم سيدى على كتابة ذلك فأتضرع اليه ألا يشير إلي ولا يجري لي ذكراً ، فإن ذلك يضرني ، كما أرجو ألا يطلع على هذا الكتاب سوى الأستاذ فإن فيه أسراراً عائلية كتمها واجب .

ولدكم

اسعاف النشاشيبي

(١) البرهان جريدة للاستاذ المغربي كان يصدرها في طرابلس الشام قبيل الحرب الكبرى الأولى

ادارة البلديات العامة ـ مباني

تقبل العطاءات ببلدية سوهاج لغاية ظهر ١٧ يناير ١٩٥٠ عن انشاء مباول ومراحيض بسوهاج وتطلب الشروط من بلدية سوهاج نظير جنيه بخلاف اجرة البريد .

٣٨٣٣

الحرية في المذهب الوجودي

للاستاذ عبدالفتاح الديدي

الحرية في المذهب الوجودي من أهم وأخطر نظرياته . ولعلنا نستطيع أن نصفها بأنها العمود الفقري الذي تدور حوله كل فلسفات الوجوديين مهما اختلفوا بعد ذلك في الأحكام الأخرى . والفلسفة الوجودية إذ تنادي بهذه الفكرة إنما تريد أن تدع للانسان فرصة التفكير في نفسه والرجوع إلى ذاته والاحتكام إلى رأيه الخاص في كل مشكلة تعرض له وفي كل موقف يتخذه بمناسبة من المناسبات. فرد الإنسان إلى ذاته دائما عند إتيان الأفعال وإبراز الحركات في الفلسفة الوجودية . ومن هنا تمحى كل آلية ويبقى الانسان محافظا على جدته وبكارته الأولى .

فالحرية بهذا المعنى تؤكد البدء دائماً ، وبالتالي هي الجسر الدائم من اللاوجود إلى الوجود ، من الإمكان الى الواقع الحي . ونلفت هنا بهذه المناسبة إلى شيء في غاية الأهمية ، وهو أن الوجود الإنساني في حد ذاته لا يعد وجوداً ولا ينظر إليه بوصفه واقعاً ، وإنما هو إمكان مطلق. فمجرد وجودي أنا إمكانية فحسب لا تتحول ولا تصير وجوداً ولا تتجسم في هيئة واقع إلا بعد أن أتحرك وبعد أن آتي جملة من الأفعال . فهذه الحركات وتلك الأفعال هي التي يتوقف عليها الوجود الإنساني الذي يكون حاصلا بالفعل . وما دام من المستحيل على كل إنسان أن يأتي أفعاله من غير ارتكان إلى نوع الاختيار أو قل ما دام كل عمل يصدر عن الإنسان هو تصرف مبني على فكرة خاصة ، كان للحرية أكبر مقام في نفس الإنسان وأخطر أثر في حياته . وواضح أن قيمتها لا ترجع إلى أنها طريقة في العمل ووسيلة إلى التأدية فقط ، وإنما ترجع إلى ضرورتها بالنسبة إلى الحياة بأكملها . فالحياة لا يمكن إلا أن تكون فعلا ، والوجود هو وجود العمل والحركة . لذا ماقيمة إنسان حي مغطى بالتراب في باطن الأرض ما دام لا يقوى على العمل وإصدار الحركات وإتيان الأفعال ؟ أو قل إذا افترضنا وجود إنسان مغمض العينين ، ساكن الجسم ، لا يصحو ولا يتحرك ، ولا يؤذي ولا يطمع ، ولا يمرض ولا يموت ، ولا يتمنى ولا يطالب ... إلى آخر هذه الصفات الإنسانية ؛ فهل يمكن أن نطلق كلمة الإنسان على هذا المخلوق ؟ لا بطبيعة الحال ، لأن الوجود وجود خصائص معينة وارتباطات قائمة وأفعال ظاهرة وحوادث في الخارج وليس مجرد وجود لأشياء وحاجات. فالوجود وجود أفعال، والأفعال لا تحدث بغير اختيار ، والاختيار قائم على إرادة حرة أو غير حرة ... وبذلك ندرك خطورة الحرية في حياة الإنسان .

فالحرية على هذا النحو هي الفيصل بين وجود الإنسان وغير الإنسان ؛ بل إن الحرية هي الإنسان في رأي سارتر . وإذا شئنا أن نبدأ بتحليل أولي لهذه الفكرة عنده فلا بد من الرجوع إليها في تفرقة وضعها (هيدجر) أولا ثم توسع فيها جان بول سارتر بعد ذلك في كتابه المسمى بالوجود والعدم. ففي هذا الكتاب ـ وهو بمثابة الانجيل في الوجودية المعاصرة ـ يذهب سارتر إلى أن هناك نوعين من الوجود : وجود الإنسان وهو الوجود لذاته ، ووجود الأشياء وهو الوجود في ذاته (١) .

والوجود لذاته ـ أي وجود الانسان ـ هو الوحيد الذي يمتاز بين قسمي الوجود حسب تفرقة سارتر في خاصية التفريغ والإنقسام على نفسه بحيث يصير بعضه مقدما أو ممطى أو حاضراً بالنسبة إلى بعضه الآخر . فوجود الإنسان يتكون عادة من فرعين ويحدث بين هذين الفرعين نوع من الإحالة المتبادلة وشيء من التكيف الظاهر . أما الوجود في ذاته فلا يعرف الانقسام ولا يحدث فيه تجويف ولا يصيبه الفراغ . ولذلك نلاحظ أنه على الرغم من أنه كان يكون طبيعيا جداً ظهور العدم في طيات الوجود في ذاته ، لا نكاد نجد له أثرا هناك ولا نكاد نعثر على شيء منه لديه ، وتفسير ذلك تبعاً لنظرة سارتر خاصة أن وجود الأشياء لا يعرف الزمن أولا ولا يدرك معنى الحرية ثانياً ، أما الإنسان فهو وحده الذي يستطيع أن يحس بالحرية وأن يشعر بعدولها ويفهم المراد منها

وإذا تساءلنا عن السر الذي يجعل الإنسان من بين نوعي

---

(١) راجع عناصر هذه التفرقة وصفات كل من الطرفين في مقالنا عن القصة في المذهب الوجودي بمجلة الثقافة ، العدد (٥٤٣) بتاريخ ٢٣ مايو ١٩٤٩ .

الوجود قادراً على استيعاب فكرة الحرية والتأثر بها فاننا نجده في هذه الظاهرة البسيطة والغريبة في آن معا وهي أن الإنسان وحده من بين نوعي الوجود يحتوي على ما نسميه في الفلسفة بالعدم ؛ بل إن العدم يضرب في بطن الوجود الإنساني بحيث يستغرق كيانه بأجمعه ، ويختلط بحياته على نحو يشعرنا بالرابطة الأصلية بين كل منهما. فالوجود بالنسبة إلى الإنسان خاصة عبارة عن إعدام كل ملامح (الوجود في ذاته) فيه ، والتخلص من آثار السينية التي تداخل تركيبه[1] . وعملية الإعدام هذه إنما تأتي من جانبين أو تحصل من جهتين : أولهما أن الإنسان يحاول دائماً ألا يجعل المكان الأسمى في نفسه للأشياء الجامدة التي يتركب منها ويسعى جهده من أجل السيطرة عليها وتسييرها حسب إرادته ومشيئته، ولا يكون عبدا لها، خاضعاً لما تقتضيه ظواهرها، أعني بذلك أن الإنسان مكون من مادة ؛ ولولا أن هذه المادة قد داخلت تركيب الإنسان لصارت في نطاق القسم الثاني ، قسم الأشياء في ذواتها ، ولذلك يحاول الإنسان ألا يجعل لها الأولوية في تكوينه وأن يعدمها إعداما ليخرج في النهاية بوجوده المعروف لدى البشر. وثانيهما أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يحس بالوجود ؛ وبالتالي هو الكائن الوحيد الذي يدرك معنى العدم ، لأن العدم على خلاف ما نظن أو يبدو لنا من أول وهلة لا يعرفه إلا الموجود الذي يشعر بأنه موجود ، لم يكن هناك عدم قبل الوجود ، بل الوجود هو الذي كان، فكان العدم ، فنحن نعرف العدم لأننا وجدنا ولو لم نوجد لما عرفنا دلالته ولا أحسسنا بماهيته ، إذا فالوجود هو الأصل في الاحساس بالعدم والاهتمام بأمره، ولا عدم إلا بالوجود ، ومادام المعدوم معدوما فلا وجود هنالك ، ولا عدم أيضاً بناء على ذلك ، فالمعدوم لا يلم باسم العدم ولا يدل العدم عنده على شيء ، فالإنسان يوجد، وساعة يوجد ينفذ إليه العدم ويخترق الصفوف نحوه ويبزغ أمامه في عقله وفي شعوره ، ومن هنا نستطيع أن نقول عن العدم إنه وليد الوجود وإنه ناشيء عن حدوث ظاهرة الحياة .

والعدم النفسي هو الذي يهمنا إذا تكلمنا عن الوجود الإنساني لأننا لا نستطيع أن نتكلم عن العدم الحقيقي ما دام لم يدخل حتى الآن في تجربة واحد من البشر . وإذا شئنا تحديد مظاهره فاننا نستطيع أن نلمسها من ثلاث نواح :

أولا : من ناحية إعدام الماضي

ثانياً : من ناحية إعدام الممكنات

ثالثاً : من ناحية العدم الذي يفصل بين الوجود وما هو عليه وبين الوجود وما يصير اليه ، ومن هذه الأعدام الثلاثة سنفتهي إلى الحرية وسنجد ثغرة ندخل منها إلى مفهوم الحرية كما ترد على لسان الوجوديين الملحدين خصوصاً

من الناحية الأولى نلاحظ أن وجودنا في الحاضر لا معنى له إلا من حيث ارتباطه بسلسلة من الأفعال والحركات التي سبق أتيانها في حياتنا والتي سبق إلحاقها بتاريخنا الخاص ، والعمل في الحاضر إنما هو عمل من أجل إبعاد الحاضر وزحزحته عن مكانه وإسقاطه من دائرة الوجود . ولذلك نستطيع أن نحكم على كل فعل من الأفعال بأنه متوقف على انعدام ماسبق فعله وانتهاء مرحلة من مراحل الحياة انتهاءً كلياً . فالحاضر متوقف على انقضاء الماضي . ويعتمد على الفراغ الذي يحدثه استبعاد جانب من الجوانب . ولكنك مع ذلك تحكم حريتك في كل لحظة زمنية تمر بك وفي كل فترة تنقضي عليك ، ولا مناص من استخدام الحرية في كل فعل من الأفعال التي تعلن انتقال الماضي وتشييع أحداثه وحاجته، فأنت في كل لحظة تريد أن ترفع الماضي من طريقك لتضع جديداً وكلما أتيت على محاولة من هذا القبيل ، لإحلال الجديد محل القديم ، اضطررت اضطراراً إلى استعمال الحرية . وإلا فكيف يمكنك أن تأتي فعلا من الأفعال ؟ إن الإنسان بطبيعة تكوينه مضطر أن يكون حراً كما يقول سارتر ، بل إنه لا يملك الحرية في ألا يكون حراً . وإذا تمثلت الحرية المقضي على الإنسان بها أو التي حملها الإنسان في شيء من الأشياء فانما تتمثل في الأفعال التي يأتيها والأعمال التي يندفع نحوها من أجل تحقيقها .

وترجع أهمية الماضي بالذات في تقرير فكرة الحرية هاهنا إلى أنه الأصل في التاريخ الذي يؤدي بدوره إلى نوع من الالتزام . فكما أن اعدام الماضي يتمثل في قضاء فترة ، يتمثل كذلك في تحطيم اللوازم ورفع الضوابط وإزالة القيود . فالماضي ضروري من أجل سير الحاضر ومن أجل تهيئة الحرية بإيجاد نوع من الالتزام الذي لا توجد حرية بغيره ولا تتوفر إرادة بدونه . فالقيد أو

(١) سارتر : الوجود والعدم (ص ١٥ س ٨) طبعة جاليمار .

الالتزام ضروري لايجاد الحرية لأن الحرية ستتضح من الوقوف وجها لوجه بازاء هذا القيد وذاك الالتزام والعمل على رفعه ومحوه وإزالته بالثورة عليه . يقول سيمون فى تعليقه على هذه النقطة من فلسفة سارتر : ينبغى أن تنبعث الحرية الصحيحة فى الفعل وفى التاريخ وهى لا توجد كذلك مادامت محتواة فى المشروع الذاتى للحكم والتأمل أيضاً ، أنها تفترض التزاما إذا . ولكن الفعل ليس حرا تماما إلا إذا كان ثورة على قوى العالم . ... فالالتزام شرط ضرورى للتصرف الإنسانى الحر ، بيد أنه ليس شرطاً كافيا إن الشرط الكافى هو الثورة التى هى روح للحرية . (١)

والإنسان بإزاء فعل من الأفعال (وهذا يتبع النقطة الثانية) يتخذ أسلوبا خاصا به وينتحى منحى لا يشاركه فيه سواه . قد يكون هذا متمما شيا مع ظروفه وتابعا لما تقتضيه مناسباته ولكنه مع ذلك يقحم حريته إقحاما ويدخل إرادته إدخالا يتمثل فى عملية الأختيار : ويتخلل عملية الاختيار صعوبات كثيرة تشكك فى أمره وتشعرنا بضعف مركز الحرية إذا قيس إليها . ولكن شيئا ما لا يجعلنا نؤمن بالحرية الإنسانية فى عملية الاختيار قدر ما تجعلنا هذه الصعوبات نفسها نؤمن بها . لأن الحرية إنما تعرف بالحيلولة بينها وبين الوجود وبالعقبات التى تصادفها وبالموانع التى تبطل عملها أكثر مما تعرف بالانسياب المطلق والارادة البريئة والاستقلال التام . إن الشعب المستعبد هو الذى يتحدث عن الحرية ، والعبد وحده ، من بين خلق الله ، تجول بذهنه فكرة العمل الفردى والانتقاء البعيد عن المؤثرات والرغبات الأخرى . ويقول سارتر نفسه فى مقال له بعنوان جمهورية الصمت فى الجزء الثالث من كتابه (المناسبات) الذى ظهر أخيرا : لم نكن قط أكثر حرية مما كنا تحت ظل الاحتلال الألمانى حيث فقدنا كل حقوقنا وبالتالى فقدنا حق الكلام ، فقد كانوا يشتمونا فى وجوهنا كل يوم ، وكان ينبغى علينا أن نسكت . وكانوا يفرقوننا جماعات جماعات كالعمال والمعتقلين السياسيين . وكنا نجد فى كل مكان ، على الحوائط وفى الصحف وفوق شاشة السينما ، تلك الوجوه القذرة الباهتة التى حاول مستعمرونا أن يعطوها لنا عن أنفسنا . وبسبب هذا كله كنا أحراراً .

أرأيت إذاً إلى هذه الحرية الغريبة عند سارتر . إنها تتوقف كما ترى على الحوائل والموانع أكثر مما تتوقف على الانفكاك والطلاقة . إنها حرية تنبنى على الوضع القائم ولا تجنح إلى الخيال ، وتنبع من صميم الوجود الحاضر المتمثل فى الظواهر المحيطة والأشياء المجتمعة . لقد سبق أن قلنا عن المعدوم إنه لايعرف العدم وأن الميت لا يدرى قط معنى الموت ؛ أما الحى فهو عالم تماما بالموت ومدرك تماما لمدلوله ، وكذلك هنا نستطيع أن أن نقول عن الحرية إنها لا يعرفها إلا العبيد والأسيرون والمحاطون بالقيود والحواجز .

وهذه الحرية ، بالاضافة إلى ذلك ، قائمة على أساس اختيار غاية من الغايات وانتقاء هدف من الاهداف . وبكلامنا فى هذا العنصر وتوضيحنا لهذا المعنى سنقرر أولا كيفية استكمال ماقصدناه فى النقطة الثانية ، وسنبدأ ثانيا بالحقائق والشروح التى تتضمنها النقطة الثالثة . فأنا حين أختار غاية دون غيرها من الغايات آتى على فعل واضح كل الوضوح بالنسبة إلى وهو أننى قد آثرت شيئا على سواه . وينبغى أن نلاحظ هنا ذلك الفارق الكبير الموجود بين عملية الاختيار وبين عملية الانتقاء . فهذا الأخير عبارة عن تفضيل شيء بحكم فائدته المرجوة ونفعه المنتظر ، وبحكم امتيازه من ناحية القيمة الكامنة فيه واللذة التى تعود من ورائه على صاحب الشأن . أما الاختيار فلا ينصب على الافضل وإنما ينصب على الأوفق مهما كانت درجة انحطاطه وسخافته ومهما بلغ من التفاهة فى أنظار الناس الاختيار بريء من الغرض وخال من المنفعة وقد يكون من ورائه ضرر أى ضرر . ولذلك نباعد بينه وبين التفضيل والانتقاء ؛ ونذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إن الاختيار أكثر التصاقا بالحرية مادام ينبنى على أخطار أكثر وعلى مآزق أشد وعلى مجال أضيق . ثم إننى فى الاختيار بغير انتظار لمنفعة وبدون أمل فى كسب أنشد غاية من الغايات وألغى ماعداها . فأحس بأننى حددت من وجودى مرة واحدة بلا مقابل وانصرفت إلى جانب واحد أعيشه وأجلب بمكاناته . وفى الوقت نفسه أعدمت بيدى سواها من الغايات حيث لاضمين لى على حسن الاختيار ولا شفيع لى عندما تؤدى إلى أدنى وضع وأخس درجة .

---

(١) بيير ـ هنرى سيمون : الانسان فى التكوين ... طبعة سوبسرا (ص ٦٨ س ١٨)

حسب النقطه الثانيه نواجه الغايات فنعدمها إلا واحـدة وفى هذه الفصلة نحن نحصر أنفسنا فى نطاق واحد ونعدم ماعداه. فتكون الحرية عند الاختيار متوقفة على العـدم المتمثل فى عملية الاعـدام هذه أى ذلك العدم الذى ينزل بساحة الغايات الأخرى التى لم يقع عليها الخيار . أما حسب النقطة الثالثة فنذهب بعيداً لننظر فى العدم الذى يحول بيننى وبين تحقيق الغاية التى اخترتها. إن الدافع والفعل والغاية تكون لدى سارتر شيئا واحدا متصلا وتعد فى نظره كلا ملتحما . وهذا عادى جداً فى نظر الفيلسوف الذى لا يعترف بالتجزئة فى الشىء مادام من الممكن استكماله فى الزمن . إن الزمن حميمه. يعمل الفيلسوف حسابها ولا يخشى من الحكم عليه بأنه ينظر فى أمور لا وجود لها . لقد كان أرسطو مهتما خصـوصاً بالبحث فى العلة الغائية ولم يخش تقول القائلين ومزاعم الناقدين الوضعيين من أبناء العصر الحاضر . وكان يريد ألا ينظر إلى الوسـائل إلا من خلال الغاية ولا يتطلع إلى الاجزاء إلا من نوافذ الكل المكتمل وإذا كان هذا دأبه فـلا بد من الشعور بأن المستقبل على الرغم من أنه فى جوف العدم ، يحتوى على حقيقة وجودية هامة هى حقيقة الغاية التى نعمل على تحقيقها بالوسائل المختلفة والأدوات المتباينة . فالغاية ليست بمفردها ولا تقوم بمعزل عن الفعل والحافز فى فكرة الحرية تبعاً للنظرة الوجودية الفلسفية . ولـكن لا يعنى ذلك أن الغاية موجودة وجوداً واقعياً ؛ إذ أن العدم يفصل بينها وبين الوجود الوقتى فى اللحظة الحاضرة . فالحرية عند سارتر تتعلق بالغاية ، والغاية بعيدة عن الواقع بقدر ما يبطلها العدم أو بقدر ما يرفضها الوجود ؛ وإذا تحققت صارت واقعاً وتمت الحرية . ولهذا تتصف الحرية بالخلق وتتصف باللامعقولية فى آن معا لاستحالة الوقوف على المستقبل بصورة أكيدة ولصعوبة التعرف الموثوق به على منبع الإمكانيات المتدفقة فى الوجود الثر .

وهكذا ننتهى من التخطيط المتافيزيقى لفكرة الحرية حسبما تمثلت فى فلسفة سارتر خاصة وعند أضرابه من الوجوديين المحدثين. ولكن لهـذه الفكرة فى المذهب الوجودى تخطيط آخر من الجانب الأخلاق البحت سنحاول أن نبحثه فى مناسبة قادمة . وكل ما نتمناه هو أن نعطى صورة واضحة عن هذه الأصول الفلسفية لدى الغربيين حتى نستكمل مقوماتنا الروحية وحتى نضع الدليل الدامغ على أننا نستطيع أن نناقش ونستطيع أن نؤمن مهما كانت درجة الخطورة فى الأفكار المنقولة من شمس الأصيل فى حضارة الغرب .

عبد الفتاح الديدى

جـــــان دارك

(١٤١٢ — ١٤٣١)

سيظل اسم جان دارك مقروناً بالإعجاب والدهشة إلى الأبد، لأن هذه الفتاة البسيطة أنفذت فى حياتها القصيرة عملا جليلا . يعد من معجزات الدهر . وهى بذاتها وحدة من عناصر العظمة، وقائدة حيث نسى معنى القيادة، وإلهام فى جيل انعدم فيه الإيمان ، ومنقذة لبلادها من وهدة الضياع .

وجان دارك رمز خالد للمحاربين الفرنسيين الذين عملوا معها على خلاص بلادهم من يد الإنجليز ، وهى للفرنسيين الوطن الذى له يحيون ومن أجله يموتون ، وهى فى نظر الإنجليز ليست أقل من ذلك . ويقترن الاحترام المطبوع فى نفس كل إنسان لجان دارك بالعار الذى لطخ الإنجليز به التاريخ بإحراق هذه الشهيدة القديسة ولا سيما إذا علمنا أن سبب إعدامها هو تخليص وطنها . ولتعجب عندما تعلم أن تسليمها إلى يد معذبيها كان بواسطة مواطنيها من أجل ثلاثين قطعة فضية بيعت بها .

ونتلخص قصة هـذه البطلة فى أن فرنسا كانت تحت حكم الإنجليز ، وكان الملك فى عهدها معتوها يطلق عليه الفرنسيون (ملك البورج) تهكما وسخرية ؛ لأن منقطة البورج هى كل ما بقيت له مما ورثه عن آبائه العظام. وكان حال الأمن فى فرنسا على أسوأ ما يكون . فإلى جانب اعتداء جيش الاحتلال كان نهب قطاع الطرق وسلب اللصوص . وتعطلت الأعمال فى نصف الأراضى الفرنسية بما عليها من كنائس جميلة البناء وقرى مستقرة بزروعها وصناعاتها بينما كان ولى العهد محاطا ببطانته السيئة يحيا حياة فراغ وكسل وإهمال .

ومن هذه الصورة التى رسمتها لك قامت لتجدة فرنسا فتاة قروية لا شأن لها إلا رعاية أغنام أبيها وقطعانه ، أو تطريز أقمشة الكنيسة بمساعدة أمها . وكان قلبها ملآن بالورع والتقوى تتخيل وهى أمام القداس أنها ترى الضوء المنعكس على زجاج نوافذ كنيسة دومرمى الصغيرة كأنه نصر مزدهر للإيمان والوحى اللذين لم

تستطع أن تفهم كنههما بأكثر من أنهما هبة من الله القدير .

وكانت عذراء دومرى تستمع إلى قصص الحرب وأهوالها فى أبنـــاء وطنها وسلب أراضى بلادها ، وقوى أثر هـذه القصص فى نفسها فملأها قوة وحماسة . وتحول إيمانها الذى أكسبتها الكنيسة إياه إلى ما يشبه الوحى المنزل عليها من السماء . وتخيلت أنها ترى قديسين يزهون فى لباسهم الأبيض الناصع يناديانها أن خلصى فرنسا ، بل لقد أفزعتها يوماً أصوات تحدثها وهى منفردة فى حديقة دارها (يا ابنة الله ، إلى الأمام وأنا معك) .

أنصتت لهذه الأصوات وهى مأخوذة خائفة ، وأصبحت تحيا فى عالمين أحدهما بيتها والثانى السماء والقديسون والملائكة . واعتقدت أن الله يوحى إليها . وهكذا رسخت هذه العقيدة فى نفسها إلى آخر يوم فى حياتها .

ومن هذا الإيمان الناهض الذى لا يمكن تفسيره بأنه معجزتها . ولسنا إزاء الحقائق التى حصلت على يدها بقادرين على انكارها ، فانها قلبت التاريخ رأساً على عقب . ولم تبلغ هذه العذراء سوى ست عشرة سنة عندما نهضت لخلاص فرنسا وتثبيت عرش ملك مزعزع وطرد الانجليز ومنح بلادها روحا جديدة جعلتها بين مصاف الدول الكبرى . وبدأت مخاطراتها العظيمة مسلحة بالإيمان بالله ، ولم يستطع أحد ارجاعها عن عزمها بل لم يجد غضب أبيها ولا اغراؤها ولا السخرية منها بل ولا حرمان الكنيسة شيئاً لردعها عن تصميمها ، وضرح لها أبوها بأنه يفضل إغراقها فى نهر الماز على أن يراها تمتلى صهوة جواد بجانب الجند . وعند ما قابلت حاكم المدينة وطلبت اليه تقديمها إلى ولى العهد اتبليغه رسالتها طردها مشيعا إياها بالسخرية ، وعندما اجتمع الحاكم بعمها وقسيس الكنيسة تداولوا فى شأنها فلم يسع القديس إلا أن يطلب إلى الله أن يبعد عنها الأرواح الشريرة .

ولكن لله حكمه : يختار أبسط الأشياء ليحير به الألباب . وفى النهاية تم النصر لجان إزاء أحرارها ، فان حاكم فا كولير أرسلها مع جنديين إلى البلاط فى شينون مرتدية ملابس الفتيان ، وسافرت مع رفيقيها أحد عشر يوما فى طريق غير مأمونة ، فكانوا ينامون النهار ويسيرون الليل اجتنابا لمصادمة الفرق الانجليزية الجوالة ، ويخوضون الأنهار حتى لا يدخلوا المدن . وكانت تتمم وهى سائرة (ممهد الله السبيل إلى فانني خلقت لهذا) حتى بلغوا البلاط حيث كان يقضى الملك شارل السابع أيامه وسط المهرجين والمنافقين .

وكانت جان ترى ان الملك الطيب هو الذى يكرس حياته لأسعاد بلاده ومع ذلك أرادت أن تثبت عرش شارل السابع وهو مجرد من كل فضيلة لأن تثبيته تثبيت للملكية وهى أساس نظام الحكم فى فرنسا

أرادت أن يخلص أمر فرنسا ليد ولى العهد ليسير بها إلى المجد عن طريق جديدة غير التى سلكها أبوه ، وأن يبدأ هذه الطريق بتتويجه ملكا أمام جميع الفرنسيين — وبعد انتظار يومين مثلث بين يديه . ومما لاشك فيه ان هذه المقابلة كانت مثارا للغرابة والتسلية . وسارت العذراء القروية التى كانت تجهل كل من قابلتهم فى البلاط إلى حيث الملك وركعت أمامه وقالت مشيرة الى ولى العهد بارك الله فى حياتك . فابتسم ولى العهد وقال لها : لست أنا الملك ها هو جلالته . فاجابته . أيها الأمير الرقيق ، انك هو وليس غيرك ، أرسلنى اليك ملك السموات لأبشرك أنك ستتوج ملكا فى ريمس . ثم همست فى أذن الملك شارل بكلمات عدها فيما بعد برهانا ساطعا على ولائها وصدق الهامها :

. كان الملك فى أول الأمر تحت تأثير عاملين : أحدهما نوع من الهيبة من هـــذه الفتاة الغريبة التى جاءته وفيها قوة مقدسة ؛ والعامل الآخر هو السخرية والتهكم اللذان قابل بهما كل فرد مطالبها الغريبة . ولكن الأمر انتهى بانحياز الملك إليها وأعلن أن جلالته اقتنع بقداسة الفتاة وأنه قرر الانتفاع بها .

وكان الجيش الانجليزى محاصراً لأورليان وسادا الطريق إلى ريمس ؛ فكان أول أوامر الفتاة طرد الفصائل الإنجليزية من خطوطها ورفع الحصار . وأعطيت علماً أبيض ذهبياً مرسوماً عليه صورة المسيح فكانت طوال أوقات انتصاراتها تحمل هـذا العلم ، وأتى إليهـا بسيف لم تستخدمه مطلقاً من وراء محراب تصورت أنه أوحى إليها به ؛ فكنت تراها صورة مقدسة فى لباسها الأبيض تجتاز على جوادها الطرق منتصرة كأنها رسالة الله إلى وطنها .

وتقرر تنصيبها قائدة على رأس الجيوش الملكية . وفى أبريل من

سنة ١٤٢٩ سارت بجيشها إلى أورليان حيث طلبت من الإنجليز — بأمر الله القاهر — مفاتيح المدن التي استولوا عليها عنوة واقتداراً ورجت منهم الخروج من البلاد ، وأعلنت في حالة عدم تصديقها (أنها ستقيم ثورة في البلاد لم تعرفها فرنسا منذ آلاف السنين) .

وسخر منها المتعصبون وأجابوا على طلبها بأن الأجدر بها الرجوع إلى مهنتها : حلب الأبقار ورعاية الأغنام . ولكن كان في هذه الراعية إلى جانب إيمانها الثابت برسالتها صفة القيادة ، وكانت أكثر من مساعديها من القواد عرفاناً بالواجب الملقى على الجيش ، فاندفع الجنود والمتطوعون متأثرين بروحها فيهم إلى الحصون الإنجليزية واستولوا عليها وارتد الأعداء هاربين وقد انكسرت قوتهم ، وأزيل الحصار الذي لزم لإقامته سبعة أشهر في ثمانية أيام؛ وأصبحت جان دومرمي بطلة أورليان .

أذيعت أخبار هذا النصر في كافة أرجاء فرنسا ، وكانت لغرابتها غير مصدقة بل قوبلت في البلاط بنوع من الخوف والريبة . ولما طلبت جان إلى ولي العهد أن يتبع الانتصار بالسير إلى ريمس أجاب بأن في الوقت متسعا لهذا فردت عليه قائلة : تنبأت أني (سوف لا أعيش غير سنة واحدة فاستغل وجودي) ولقد صدقت النبوءة فإنها لم تعش غير عام واحد وأي عام !! ففي طريقها إلى ريمس سلمت مدينة تروس بمجرد ظهورها أمام أبوابها ثم سقطت شالون. ولما كانت هذه المدينة لا تبعد إلا قليلا عن دومرمي سار إليها جيرانها ليتأكدوا من صحة كل ما سمعوه عن عذرائهم .

ولم تستمر الغزوة أكثر من ستة أسابيع امتاز كل يوم فيها بالنصر المبين ، وركب شارل إلى ريمس حيث توج ملكا في كنيستها ، رمز فرنسا الروحي — وركعت جان المنصورة أمامه صائحة وعيناها مغرورقتان بالدموع : (لقد تم ما أراده الله).

ولو قدر لقصتها أن تنتهي إلى هذا الحد ؟ ولكن القدر فرض عليها أن لا تكون خاتمة بطولتها في كنيسة ريمس بل في كنيسة روان بعد سلسلة أليمة من الغدر والهزيمة والفزع إذ حكم عليها بالموت الشنيع . وتفصيل الخبر أن جان قررت العودة إلى قريتها وفي يدها المكافأة الوحيدة التي طلبتها وهي إعفاء قريتها من الضرائب ولا تجد في سجلات ضرائب مدن وقرى فرنسا أمام قرية دومرمي إثباتا لدفع الضرائب مدة ثلاثمائة وستين سنة .

إذن نجحت جان في عملها . وحركت نشوة النصر في نفوس قواد الجيش رغبة في التوغل . وترددت جان لأول مرة منذ خروجها من قريتها في قبول هذه الرغبة وتهيبت التوغل المطلوب فلقد أتمت ما أملاه عليها وجبها وهو لا يطرق سوته أذنها الآن ، إلا أنها واصلت الغزوات ممتزمة تخليص باريس . وسلمت لها سواسون وكذلك شاتوفيري . ومن الغريب المدهش أن اللص شارل الخبيث الذي قامت جان بهذه الأعمال من أجله عقد اتفاقاً سرياً مع أعدائه خان فيه جيشه ففي الوقت الذي كاد يتم فيه تخليص باريس استدعى قواده وترك جان وحيدة من غير معين .

حتى هذه اللحظة لم يستطع أعداء فرنسا هزيمة جان إلا أن إهمال الملك أباها غير من حظها فقد هبط ميزان الإخلاص لها ولكنها ظلت برغم هذا الغدر موالية للبلاط . ذهبت إلى كنيسة سانت دنيز وألقت عن نفسها لباسها الحربي وتركته على هيكل الكنيسة واندمجت في البلاط مدة قصيرة مخلصة له فلما رأت أن لا محل لها به هجرته .

لا بل إنها مدت يد المساعدة مرة أخرى إلى هذا المخلوق المسكين الذي أهملها وهي التي توجته وذلك في كامبين حيث حلت به ورطة كادت تفقده حياته فأسرعت إليه وألفت فصيلة للسعي إلى تخليصه . وفي أثناء هجوم غير منظم أحاط الأعداء بها فسقطت عن جوادها وقبض عليها ثم بيعت إلى الانجليز مقابل دراهم معدودة .

لم يمد أحد يده لنجدتها. نعم إن سكان المدن الذين خلصتهم بكوا من أجلها ولكن فرنسا الرسمية لم تحرك ساكناً بينما أشعلت باريس المشاعل وأخذ أهلها يغنون فرحين لأن جان قيدت بالسلاسل وأودعت قفصاً من حديد، وفي روان أخرجوها من قفصها وشدوها إلى عمود يحرسها الجند ليلا ونهاراً يتجسسون عليها ، ثم واجهوها في كنيسة صغيرة في معقل روان بقضاة عينوا لمحاكمتها.

وليس هناك انجليزي واحد لا تخجله هذه الصفحة من تاريخ انجلترا . ولو عذرنا الإنجليز فيما فعلوه بجان لأنها عدوة لهم يرون فيها ساحرة ذات دهاء وخبث وقوة وإصرار

فما الذى نقوله عن مواطنيها أنفسهم الذين تخلوا عنها وباعوها ثم قعدوا ساكنين لا يتحركون يشاهدون أدق فصل من فصول مآسى التاريخ كما يشاهد المتفرج قصة بسيطة على مسرح التمثيل ؟

وكان لا بد من محاكمة جان دارك بتهم وضعوها لها وأحاط بها القضاة كما تحيط الذئاب الكاسرة بالحمل الوديع مصممة على الفتك به. هددوها بالتعذيب وأمطروها وابلا من الأسئلة ولكنها رغم كل ذلك بقيت على انكارها للتهم التى كيلت لها .

وفى النهاية أخبروها انها لو وقعت على ورقة تقر فيها انها مذنبة قاتلة فانهم لا يحكمون عليها بالقتل، فأجابتهم متحدية انها لا تخضع لأمرهم ولو رأت النيران مهيأة لها — وأخيراً بعد ان ذاقت جان مر العذاب أخذت المسكينة تستعطف قضاتها معلنة اليهم انها امرأة ضعيفة كسر قلبها طول العذاب والتهديد بالنيران . ولم يجد استعطافها شيئاً أكثر من زيادة التعذيب فخضعت لهم بدافع حب الحياه وتأثرت بصياح الشعب فيها (هل تودين الموت ياجان ؟ ألا تنجين نفسك ؟) .

ووقف كوشون وفى يده ورقتان مخطوط عليهما جملتان أحداهما السجن المؤبد إذا خضعت لما طلب اليها؛ والثانية احراقها لو ظلت على انكارها. فلما قدمها اليها للتوقيع على إحداهما وقعت على الأولى وخط كاتب الجلسة وهو جيلبرت مانشون على هامش الورقة هذه الكلمات (وفى آخر الحكم قالت جان تحت تأثير الخوف من الاحراق بأن عليها اطاعة أوامر الكنيسة) .

حملوا على مبتغاهم فأرسلوها موثقة إلى سجنها . فلما رأت نفسها وحيدة عاودتها شجاعتها فأعلنت أنها لم ترتكب أى جرم وإن كل ما قالته كان خوفا من النيران؛ إلا أن صراخها ذهب هباء وتقرر احراق العذراء البريئة التى كانوا يخشونها فى قلوبهم .

وتبع الجنود الانجليز العربة التى حملتها إلى السوق القديمة فى روان حيث أعدت لها النيران ، وصفت الكراسى على الأفريز جلس عليها الأساقفة لمشاهدة حفلة أحراقها وخطت هى اليهم طالبة صليبا إلا أن أحداً منهم لم يجرؤ على إعطائها إياه .

وأوقدت النار ، وتطلعت جان لآخر مرة إلى العالم الذى ملأته نصراً وإعجابا فظهرت وعليها مسحة نبيلة هى قوة مقدسة من وراء العالم وتخيلت انها تسمع الأصوات التى اعتادت سماعها تكلمها من قلب النيران وصاحت (قد كنت أظنني مخدوعة)

الشعر المصرى فى مائة عام

الأستاذ سيد كيلانى

الدور الأول

١٨٥٠ — ١٨٨٢

٣ — أساليبه والفاظه

كانت أساليب الشعر فى هذا الدور ضعيفة ركيكة مبتذلة ، وتراكيبه سقيمة تكاد تكون عامية . وذلك نتيجة لانحطاط الشعر فى الأجيال السابقة ، وبعد الشعراء عن دراسة آثار الفحول الذين ظهروا فى عصور الرقى وعهود الازدهار . ومن أمثلة هذا الضعف قول صالح مجدى :

واختص كلا بقانون فترجمه بسرعة وبيان واضح الكلم

فقوله « بسرعة » مما يجرى على ألسنة العامة .

وقول عبد الله فكرى :

وفى علم مولاى الكريم خلائقى قديما وحسبى شاهدا مخلصا برا

فعبارة « وفى علم » سوقية محضة .

وقال الليثى :

فإن مصابا حل قد حل وانقضى ونحن بما يأتى نسام ونشغل

فصدر هذا البيت مما تنطق به الدهماء .

وقول أبى النصر :

ومنى عليكم كل يوم تحية وسائر أحبابى الكرام ذوى المجد

كذا جملة الاخوان شرقا ومغربا متى سألوا عنى ولو أخلفوا وعدى

وهذه هى آخر جملة فاهت بها — وجمع أسقف وبنشستر رفات جسدها المحروق ونثره فى نهر السين وحلقت روحها العظيمة فطمست عار الذين حولها وقسوتهم . وترى اليوم تمثال جان دارك الذهبى مهاجما لأسقفية وبنشستر فى كتدرائيتها وستظل إلى الأبد رمز المثابرة والوفاء والشجاعة النادرة وطهارة القلب — وإذا كانت قلوبنا تتفطر حسرة على نهاية هذه البطلة المحزنة إلا أن هذه النهاية تنوح من غير شك قصتها العجيبة .

عبد الرحمن فهمى

وهذا من كلام الأميين . والأمثلة على ذلك كثيرة يتبينها كل من رجع إلى دواوين هؤلاء الشعراء .

* * *

وترى كثيراً من تراكيب شعراء ذلك الدور مضطربة ، حتى أنك تجد مشقة فى قراءتها . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

كتابى توجه وجهة الساحة الكبرى .
وكبر إذا وافيت واجتنب الكبرا

فالاضطراب ظاهر فى قوله « توجه وجهة » وفى قوله « الكبرى . وكبر . والكبرا » ولا شك فى أن الإنسان يتعثر فى تلاوة هذا البيت ويمل من ترديد الكلمات المتشابهة فى اللفظ .

وقول صالح مجدى :

سمت روضة الأنس الجمالية التى
بها الصدر اسماعيل ذو الدولة اعتنى

والاضطراب فى البيت كله ظاهر لايحتاج إلى بيان .

وقول أبو النصر :

هو الشهم اسماعيل إن رمت وصفه
تجده بجيد المجد واسطة العقد

فعبارة « تجده بجيد المجد » ينفر منها الذوق وهى من أثقل التراكيب على اللسان .

وقوله :

نرجوه إنجاز اصلاح الشؤون عسى
يصفو به الملك دانيه وشاسعه

والضعف فى صدر البيت أظهر من أن يدل عليه .

وقول محمد سعيد :

وأقبل عيد العود بعد انتظاره يمن له العلياء بالأنس تفتر

* * *

وقد اشترك شعراء هذا الدور فى استخدام كلمات معينة . ومثال ذلك كلمة « شهم » التى وردت فى معظم قصائد المدح . قال رفاعة :

فى كفه سيفان سيف عناية والشهم ابراهيم سيف ثانى

وقال ابراهيم مرزوق :

ويبيد العدى بسطوة شهم لايباريه هاصر فى جلاد

وقال أبو النصر :

هو الشهم اسماعيل إن رمت وصفه
تجده بجيد المجد واسطة العقد

وقال على فهمى :

والخديو المليك أول شهم يخطبا حاضر الخاطر أنذر

وهكذا لم يجد الشعراء أمامهم غير هذه الكلمة مع أن اللغة العربية غنية بالمترادفات .

واشترك معظمهم فى استخدام تعابير خاصة ، مثل « وكيف لا » قال الليثى :

وكيف لا وخديو مصر ألبسها
ثوبا من الطول مأمونا من القصر

وقال :

وكيف لا والخديو فيك قد سطعت
أنوار آلائه الغر الجسيمات

وقال على فهمى :

وكيف لا تتحلى بالمدامع أفـ واه روت عنه أيام الحياة حلى

وقال محمد سعيد :

وكيف لا وهو لما أن تداركها بالعدل لاشك صار الآن محييها

وقال صالح مجدى :

وكيف لا ومقالاتى أدلتها غنية فيك عن نص بتصديق

وعبارة « وكيف لا » كانت تستخدم بكثرة فى النثر فى ذلك الدور فانتقلت منه إلى الشعر وجرت على ألسنة الشعراء على نحو مابينا . وغنى عن البيان أن نقول إنها ليست من التعابير الشعرية .

* * *

وكانوا يكررون عبارة معينة فى جملة أبيات . ومثال ذلك قول محمد النجار :

واليوم ترفل فى ملابسها التى حسنت ويبسم ثغرها المتضوع

ثم كرر قوله « واليوم » فى سبعة أبيات :

وقال أحمد عبد الغنى :

ولا وقت الجلوس على القهاوى ولا وقت التغافل والتغابى

ثم ردد عبارة « ولا وقت » فى سبعة أبيات

وقال سليم رحمى :

حيث البرنسات والنظار قد شرفت
أقدارها بمقام منه محـــود

ثم أتى بكلمة « حيث » فى خمسة أبيات

وقال ابراهيم مرزوق :

أبى أما الصبر عنك فما أمر لكن رضيت بما به المولى أمر

ثم ذكر عبارة « أبى » فى خمسة أبيات

وهذا النوع من التكرار مقصود . وقد أتى الشاعر به طوعا واختياراً لأمر فى نفسه . ولكن هناك نوع آخر من التكرار قد اضطر إليه شعراء هذا الدور اضطراراً ، وأرغموا على الوقوع فيه ، وذلك لإفلاسهم وخلو جعبتهم من المادة اللغوية . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى :

مشير صدق بحزم الرأى قد عرفت
أفكاره بين باديها وخافيها
لاتنثنى عن صواب الرأى رغبته لرهبة كائناً ما كان داعيها

فذكر فى البيت الأول « حزم الرأى » وفى البيت الثانى « صواب الرأى » فالظاهر أن الرجل لم يجد أمامه فى هذا المقام غير كلمة «رأى» . وقد جاء بهذه الكلمة فى مطلع القصيدة فقال :

رأى الخليفة فيه رأى حكمته والملوك صواب فى مراميها
رآه أجدر أن يرعى رعيته وأن يقوم بما يرجوه راجيها

فهو بهذا قد استخدم كلمة واحدة فى ثلاثة أبيات . وفضلا عن ذلك فانه أتى بالفعل « رأى » وهو مشتق من الرأى وذكر كلمة «مراميها» وهى من نفس المادة . وكل هذا فى قصيدة عدتها ثلاثة عشر بيتاً .

وقال أبو النصر :

فهو المليك الذى عمت مآثره وفائض الجود من جدواه إمداد
المفرد العلم الأسمى علا شرفاً وفاض بحر افكم ترجوه وراد
كالليث جاد بما يغنى الأنام بلا من ، فجدواه انجاز وإيجاد

فاستخدم كلمتى «فائض» و «فاض» وهما من مادة واحدة . وكرر كلمة « جدوى » وأتى بالفعل « جاد » وهو من كلمة « الجود » المذكورة فى البيت الأول وهذا ضعف لغوى لايحتاج إلى بيان .

واستخدم بعضهم كثيراً من الكلمات الفرنسية والتركية . ومثال ذلك قول صالح مجدى :

وعند صياح الديك قام مودعاً فقمنا وودعنا وقلنا له « مرسى »

وقوله فى وصف إحدى الفلاع :

فكم بسنيون(١) ثابت الأصل محكم
يلوح بهاتيك الحصون المهمة

وقوله :

منه طوبجية(٢) ثبيت الأعادى من تعدى نيرانها فى عديد
و كبورچيه(٣) لها كل فخر فى جميع البقاع بين الجنود

وقوله :

والدودكجى(٤) مع الترنبيت ناغا
البروجى وزال عنا صدود
وبعذب الألحان غنى المويسيـ قى فتاقت إلى غناه الكبود
وبذكر السعيد دندن فاشتا ق إلى مدحه البليغ المجيد

وأجابت « بجوق(٥) يشا » فى دعاها :

للخديو رعـــية وجنود

وقوله :

وإذا الأوجيان(٦) حلوا بأرض
لعدو ضاقت عليه الحدود

وقوله :

والدراغون(٧) فى الميادين تزهو كزهور الرياض وهى أسود

واستخدموا كلمة « تياتر » الفرنسية فقال سلامة النجارى:

« تياترها » يبدى تواريخ من مضى
بحسن بيان لا يرام مناله

وأوردوا فى شعرهم كلمة « بال » رمضاها الرقص . وبدلا من أن يقولوا « مرقص » قالوا « ملعب بال » .

قال رفاعة الطهطاوى :

---

(١) كلمة فرنسية معناها : مدفع
(٢) كلمة تركية معناها : المدفعية
(٣) « « « : مهندسو الكبارى
(٤) الدودكى ، والبروجى اسمان تركيان لرجال الموسيقى . والترنبيت اسم فرنسى لبعض آلات الموسيقى .
(٥) عبارة تركية بمعنى يعيش كثيراً
(٦) كلمة تركية بمعنى : الفرسان
(٧) كلمة فرنسية بمعنى : الفرسان

وملعب «بال» بالحسان متمم عيون غوانيه تغازل بالفتك

واستخدم رفاعة كلمة «سنيور» بدلا من السيد وذلك فى قوله :

وكم من فتاة فيه سكرى بلا طلا

يراقصها «السنيور» لطفامع السبك

واستخدموا كلمة «فابريقة» وفوريقة . وأطلقوا على السفن البخارية اسم «وابور البحر» وعلى القطار اسم «وابور البر» واستعملوا «بريد كهربائى» للتلغراف . قال رفاعة .

وبريد كهربائى وحيه لمحة أعين

وأطلقوا على آلة تنقية المياه ورفعها إلى المنازل اسم «وابور المياه» قال رفاعة :

ووابورات ميـــاه كجبال النار تدخن

وأرادوا أن يضعوا إسما يدل على توصيل المياه إلى المنازل . فاهتدى صالح مجدى إلى كلمة «تقاسيم» قال :

وأما تقاسيم المياه فنفعها عميم ومنها للعباد مراحم

وقد تخلص الليثى من هذا المأزق بقوله بعد أن ذكر بعض مظاهر الحضارة :

وسائل النيل يجرى فى شوارعها

له على كل باب أم تذليل

فاستخدم عبارة «سائل النيل» وبهذا حل الإشكال . وأطلقوا على القضبان التى يسير عليها القطار اسم «أخاديد الحديد» و «طرق الحديد» قال صالح مجدى :

وقال :

أما أخاديد الحديد فإنها قد انتشرت للقطر فيها مغانم

وبصنعها سكك الحديد مديدها أضحى لوافر نفعها ما أقصره

وقال على فهمى رفاعة :

علمت بذا طرق الحديد فأطرق الـ

ـوابور رأسا جد فى ارتياده

وقال أبو النصر :

وأمد بالطرق الحديد صعيده والسلك فى أخباره كل المنى

وأراد بالسلك «التلغراف» .

ويلاحظ أن كثيراً من هذه الكلمات كان يستخدم فى النثر

ولم يجد الشعراء بدأ من استخدامها فى الشعر بيد أن بعضهم رأى أنها تفسد النظم فتصعب ضدها ولم يذكر منها شيئاً فى قصائده . ومن هؤلاء الساعاتى . وكان صالح مجدى وسلامة النجارى أكثر الشعراء إيرادا لمثل هذه الكلمات .

* * *

وكان من شعراء هذا الدور من يستخدم بعض الكلمات العامية . ومثال ذلك قول أحمد عبد الغنى :

ولاوقت الجلوس على القهاوى ولا وقت التغافل والتنابى

والصواب أن يقول «القاهى» .

* * *

وقد حافظوا على ما ورثوه من الأجيال المتقدمة من الحرص على الصناعة اللفظية واستخدام البديع بأنواعه المختلفة ولا سيما الجناس والطباق ، وقد شاعت فى هذا الدور التورية باسم الخديو «توفيق» ومثال ذلك قول الساعاتى :

بلغت «بتوفيق» العزيز مآربى فبالغت فى حسن الثناء تشكرا

وقول عبد الله فكرى يمدح اسماعيل ويشير إلى قانون الوراثة :

نهضت «بتوفيق» العلى ولم يزل بعينك عون الله فى حيثما تسرى

وقوله :

أمر أمير المؤمنين أعاره نظراً وأنظار الكبار كبار

فسرى به فى مصر من «توفيقه»

نور ومن بركاته أسرار

هذا ما يمكن أن يقال عن أساليب الشعر وألفاظه فى ذلك الدور .

(يتبع) محمد سيد كيلانى

مجلس مديرية المنوفية

يقبل عطاءات لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم الثلاثاء ٢٤ يناير سنه ١٩٥٠ عن توريد كتب وأدوات مدرسية . وتطلب القوائم على عرضحال دمغه مقابل مائة مليم بخلاف ثلاثين مليما للبريد .

٣٨٧٩

الخطـــر اليهودي

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء

للاستاذ محمد خليفة التونسي

البروتوكول الثالث :

أستطيع اليوم أن أؤكد لكم أننا على قيد خطوات من هدفنا ، فلم تبق إلا مسافة قصيرة حتى تتم الأقمى الرمزية — شعار شعبنا — دورتها . وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوربا محصورة داخلها بأغلال لا تنكسر .

إن كل الموازين البنائية القائمة ستنهار سريعاً ؛ لأننا على الدوام نفقدها توازنها لكي نبلبها بسرعة أكثر ، ونفسد تأثيرها .

لقد حسب الأمميون (غير اليهود) أن هذه الموازين قد صنعت ولها من القوة ما يكفي ، وتوقعوا منها أن تزن بدقة ، ولكن القوامين على الموازين — أي رؤساء الدول كما يقال — مكبوحون بأذنابهم الذين لا فائدة لهم منهم ، مغمورون بعيداً — كما هو شأنهم — بقوة أذنابهم المطلقة على تدبير المكايد (والدسائس) بفضل المخاوف السائدة في القصور .

وإذ أن الحاكم لم تكن له منافذ إلى قلوب رعيته — لم يستطع أن يحصن نفسه ضد مدبري المكايد المتطلعين إلى السلطة ولقد فصلنا القوة المراقبة عن قوة الجمهور العمياء ، ففقدت القوتان معاً أهميتهما ، لأنهما حينما انفصلتا صارتا كأعمى فقد عصاه . ولكي نغري المتطلعين إلى القوة بأن يسيئوا استعمال حقوقهم ألقينا العداوة بين القوي فأوقفنا كل قوة ضد غيرها ، بأن شجعنا ميولها التحررية نحو الاستقلال . وقد شجعنا كل مشروع في هذا الاتجاه ، ووضعنا أسلحة مرعبة في أيدي كل الأحزاب ، وجعلنا القوة هدف كل طموح إلى الرفعة . وأقمنا ميادين تتشنج فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط (ولا التزامات) ، وسرعان ما ستنطلق الفوضى ، وسيظهر الإفلاس في كل مكان .

لقد مسخ الثرثارون الفلوتون المجالس البرلمانية والادارية مجالس للجدل . والصحفيون الجسورون وكتاب الرسائل الجريئون يهجمون هجوماً متوالياً على القوى الادارية ، وسوف يهيئ سوء استعمال القوة دون شك تفتت كل الأحزاب ، وسيخر كل شيء صريعاً تحت ضربات الشعب الهائج .

إن الناس مستعبدون ، في عرق جباههم ، للفقر بأسلوب أفظع من قوانين رق الأرض ، فإن هذا الرق يستطيعون أن يحرروا أنفسهم بوسيلة أو بأخرى ، على حين أنه لا شيء يحررهم من طغيان الفقر القاسي . لقد حرصنا أن نجعل حقوقاً للهيئات حيالية محضة ، فان كل ما يسمى (حقوق البشر) لا وجود له إلا في المثل التي لا يمكن تطبيقها عملياً . ماذا يفيد عاملا أجيراً قد حنى العمل الشاق ظهره ، وضاق بقضائه — أن يظفر ثرثارة بحق نشر أي نوع من التفاهات ؟ ماذا ينفع الدستور العمال الاجراء إذا هم لم يظفروا منه بفائدة غير الفضلات التي نطرحها عليهم من موائدنا جزاء أصواتهم لانتخاب وكلائنا ؟

إن الحقوق الشعبية سخرية من الفقير ، فان ضرورات العمل اليومي تمنعه أن يظفر بأي فائدة على شاكلة هذه الحقوق ، وكل عملها أن تنأى به عن الأجور المحددة المستمرة ، وتجعله يعتمد على الاضرابات والمخدومين والزملاء . وتحت حمايتنا أباد الشعب الارستقراطية التي عضدت الناس وحتهم من أجل منفعتهم الخاصة ، وهذه النقمة لن تنفصل عن سعادة الشعب . والآن بعد أن حطم الناس امتيازات الارستقراطية — يقعون تحت نير الماكرين من المستغلين والأغنياء المحدثين .

إننا نقصد أن نتظاهر كما لو كنا محرري العامل ، جئنا لنحرره من هذا الظلم ، حينما ننصحه أن يلتحق بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين ، ونحن ، على الدوام نحتضن الشيوعية ونعززها متظاهرين بأننا نساعد العامل طوعاً لمبدأ الاخاء والمصلحة العامة الانسانية ، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية (غير اليهودية) . وإن الارستقراطية الذين من حقهم مقاسمة الطبقات العاملة عملها قد أفادهم في هذه الحال نفسها أن هذه الطبقات طيبة الغناء ، جيدة الصحة ، قوية الأجسام . وفائدتنا نحن في عكس ذلك ، أي في ذبول الأمميين (غير اليهود) ، فان قوتنا تكمن في أن يبقى العامل في فقر ومرض دائمين ، لأننا

بذلك نبقيه عبداً لارادتنا ، ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولا عزما للوقوف ضدنا . إن الجوع سيخول رأس المال حقوقاً على العامل أكثر مما تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تخول الأرستقراطية من الحقوق

اننا نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نجتاح بها جانباً أولئك الذين يصدوننا عن سبيلنا

وحين يأتي تتويج حاكمنا العالمي سنعتصم بهذه الوسائل كيما نحطم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا .

لم يعد الأمميون (غير اليهود) قادرين بعد على التفكير دون مساعدتنا في مسائل العلم . وهذا هو السبب في أنهم لا يدركون الضرورة الحيوية لأشياء خاصة سنمسك عن الإشارة إليها حتى تأتي ساعتنا ، تلك أن الحق الوحيد بين كل العلوم وأعظمها قدرا هو ما يجب أن يعلم في المدارس ، وذلك هو علم حياة الإنسان وعلم الأحوال الاجتماعية ، وكلاهما يلتزمان تقسيم العمل ، ومن ثم تصنيف الناس فئات وطبقات . وإنه لحتم أن كل إنسان سيعرف أن المساواة الحقة لا يمكن أن تكون ؛ ومنشأ ذلك اختلاف الطبائع لأنواع العمل المتباينة ؛ وأولئك الذين يعملون بأسلوب يضر فئة كاملة تقع عليهم مسؤولية أمام القانون تختلف عن مسؤولية من يقترفون جريمة تؤثر في شرفهم الشخصي فحسب . إن علم الأحوال الاجتماعية الصحيح الذي لا نفشي إلى الأمميين (غير اليهود) أسراره ـ سيقنع العالم أن الحرف والأشغال يجب أن تحصر في فئات خاصة كي لا تسبب متاعب إنسانية تنجم عن تعليم لا يجاري العمل الذي يدعى الأفراد إلى القيام به . وإذا ما درس الناس هذا العلم فسوف يخضعون بمحض إرادتهم للقوى الحاكمة وهيئات الحكومة التي نظمتها . والجمهور في ظل الأحوال الحاضرة للعلم ، والنهج الذي سمحنا لهم باتباعه ـ يؤمنون عن عمى بالكلمات المطبوعة ، والأوهام الخاطئة التي أوحينا إليهم بها كما يجب ، وهي تنقل البغضاء إلى كل الطبقات التي تظن أنها أعلى مما تكون لأنها لا تفهم كفاية كل طائفة . وهذه البغضاء ستصير أشد مضاء حيث تكون الأزمات الاقتصادية مستحكمة ، لأنها حينئذ ستعطل الأسواق والإنتاج . وسنخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التي في متناولنا ، وبمساعدة الذهب الذي هو كله في أيدينا . وسنقذف إلى الشوارع بجموع جرارة من العمال في أوربا دفعة واحدة ، وستقذف هذه الكتل بأنفسها إلينا في ابتهاج ، وتسفك دماء أولئك الذين من أجل غفلتها ، تحمل لهم البغضاء منذ الطفولة ، وستكون قادرة على نهب مالهم من ممتلكات .

ولن تستطيع أن تضرنا ، لأن لحظة الهجوم ستكون معروفة لدينا ، وسنتخذ كل الاحتياطات لحماية مصالحنا .

لقد أقنعنا الأمميين أن مذهب التحررية liberalism سيؤدي بهم إلى مملكة العقل . وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة ، لأنه سيكون في موضع يمكنه من أن يقمع كل الثورات؛ وأن يستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات .

حينما لاحظ الجمهور أنه قد أعطي كل أنواع الحقوق باسم الحرية تصور نفسه أنه السيد ، وحاول أن يفرض القوة . والجمهور ككل أعمى سواء ـ قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى ، وإذا لم يرغب في الرجوع إلى النهج régime السابق ـ وضع قوته تحت أقدامنا . أذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (العظمى)؛ إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا معرفة جيدة ، لأنها من عمل أيدينا . ومنذ ذلك الحين ونحن نقود الأمم قدما من خيبة إلى خيبة ، فكان من ذلك أن نبذونا ، من أجل الملك الطاغية من دم صهيون ، وهو الذي نعده لحكم العالم

إننا اليوم كقوة دولية ـ فوق التناول ، فلو أن حكومة أممية « غير يهودية » هاجمتنا لقامت بنصرنا أخريات .

إن المسيحيين من الناس ، في خستهم الفاحشة ، ليساعدوننا على استغلالنا وحريقنا حين يخرون أمام القوة ساجدين ، وحين لا يرثون للضعف ، ولا يرحمون في معالجة الأخطاء ، ويتساهلون في الجرائم ، وحين يرفضون أن يتبينوا متناقضات الحرية ، وحين يكونون صابرين إلى درجة الاستشهاد في تحمل قسوة الاستبداد الفاجر .

إنهم ليتحملون على أيدي دكتاتوريهم الحاليين من رؤساء الوزراء والوزراء إساءات كانوا يقتلون من أجل أصغرها عشرين ملكا . فكيف بيان حال هذه المسائل ؟ ولماذا تكون الجماعات غير منطقية هكذا في نظرها إلى الحوادث ؟

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية :

غاية الأخلاق عند أرسطو

للاستاذ كمال دسوقى

ما أسعد طلاب السابقة بمقرراتهم هذا العام ! فكلها — أو معظمها — من الكتب العامة ، الهامة فى الوقت نفسه ، فى عداد المراجع الفلسفية : الدراسات حولها كثيرة ، والشروح والكتابات وافية غزيرة ، وما على الطالب إلا أن يلقى بنفسه فى لجتها ليستوعبها .

والكتب التحريرية — التى هى مجالنا فى هذه المقالات حتى يوم الامتحان — من عيون الكتب الفلسفية كل فى ناحيته ، الأخلاق والعقائد ، فضلا عن أن كليهما لأحد مشاهير الفلاسفة عند اليونان وعند العرب ، إن لم نقل إنه لأشهر فيلسوف يونانى وعربى على الإطلاق .

ولنبدأ أولا بأرسطو فى « أخلاقه » النيقوماخية .

نتناول الفيلسوف أولا ، ثم نعمد إلى تحليل الكتاب ، خصوصاً الجزء المقرر منه .

والمراجع العربية التى يمكن أن تفيد فى الأحاطة بحياة الفيلسوف اليونانى ومذهبه — إذ يجب ألا نقتطع نظرية الخير من الأخلاق الأرسطية ، ولا الأخلاق ذاتها من جملة المذهب الأرسطالى — أقول هذه المراجع العربية كثيرة ، وإن كان يجب قراءتها بحذر وحيطة ، والبدء باستيعاب النص المطلوب دراسته ، ثم التنقيب بالشروح والتواليف الواردة حوله ، وأخيراً وضعه فى مكانه من الهيكل العام لفلسفة أرسطو ؛ حتى لا يكون لهذه الكتب التفسيرية خطرها ومصادرتها على فكر الدارس ألا يكون له رأيه ووجهة نظره الخاصة . وهو أهم ما يجب أن أن يحرص عليه طالب السابقة .

ذلك — أيها الطالب النجيب — أن السابقة سبق ، ولا يجوز قصب السبق إلا الباسل الغوار الذى يجول بين الآراء ويصول ، ثم لا يعدم — حين لا يكون له رأى خاص مستقل — ألا يفرق بين مختلف الآراء ، فمهد نفسك لهذه الغاية النبيلة وهذا الفوز الكريم ، ففى السباق يقاس بالأنف ، وليس أجل فى الحياة من لذة النصر ...

أبدأ بقراءة النص المطلوب إليك دراسته ، ثم أعد قراءته مرة ومرات ، فسترى أنك فى كل مرة تعيد القراءة تكشف من أمره جديداً ، وتفهم أكثر من ذى قبل ، (واستعن) واستعن على فهم أرسطو بالتعليقات التى ذيل بها المترجم الفرنسى صفحات ترجمته ، وهى المنقولة بين يديك إلى العربية ، وأحمد معى — فى هذا المقام — هذا الجهد الرائع المخلص الذى بذله — وما يزال يبذله — إمام الجيل وأبو الفلسفة أستاذنا لطفى السيد باشا فى إخراج تراث أرسطو الفلسفى إلى العربية هذا الاخراج الجبار ، الذى تعرضه دار الكتب المصرية فى أجمل ثوب وأكمل صورة ، فتجتمع له عظمة المادة والصورة ، كما ترى فى الكتاب الذى تقلب صفحاته ، وهو واحد من جملة أسفار بعضها فى ضعف حجمه ، هى أهم ما لأرسطو من كتب : فالى جانب الكتاب

السبب أن المستبدين يقنعون الناس على أيدى وكلائهم بأنهم إن أساءوا استعمال قوتهم ونكبوا الدولة فما أجريت هذه الملكية إلا لعلة سامية وأى لبلوغ النجاح من أجل الشعب ، ومن أجل الأخاء والوحدة والمساواة الدولية .

ومن المؤكد أنهم يقولون إن هذا الاتحاد لا يمكن بلوغه إلا تحت حكمنا نحن ، ولهذا نرى الشعب يتهم البرىء والمجرم ، مقتنعا بأنه يستطيع دائما أن يفعل مايشاء ، ومن أجل هذه الحالة العقلية يحطم الرعاع كل تماسك ، ويخلقون الفوضى فى كل شعبة وكل ركن . إن كلمة الحرية تزج بالمجتمع فى عراك مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله . ولذلك كان السبب فى أنه — حين نستحوذ على القوة — يجب علينا أن نمحق كلمة « الحرية » من قاموس الإنسانية كأنها رمز القوة الوحشية التى تمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء . ولكن يجب أن نركز فى عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق فى النوم حينما تشبع من الدم ، وحينئذ يكون من اليسير أن نسحرها ونستعبدها . إنها إن لم تعط الدم فلن تنام ، بل سيقاتل بعضها بعضا .

محمد مليفة التونسى

الثانى فى الأخلاق المتمم لهذا ، ثمة كتاب الطبيعة ، وكتاب الكون والفساد ، وتحت الطبع الآن كتاب السياسة الكبير ، كان الرجل — أطال الله بقاءه — يعمل فيه وهو وزير للخارجية يضطلع بمذكرات المفاوضات ونيابة رياسة مجلس الوزراء فى عهد وزارة صدقى باشا ولورد استانسجيت ، أفترون إخلاصاً للعلم واستغراقاً فيه أروع وأبلغ من هذا ؟ أليس لكم فى ذلك أسوة حسنة ؟

ربما يؤخذ على هذا العمل العلمى الجبار مأخذ واحد ، وهو أنه — على إخلاصه وأمانة النقل وحسن الأداء فيه — قد ظهرت ترجمتان فرنسيتان أدق من تلك التى نقل هو عنها . وما ذنب الكاتب الذى كان يترجم منذ ١٩٢٠ ألا يتنبأ بما سيظهر بعدئذ من الترجمات لبعض كتب متفرقة ؟ وهل ينبغى — انتظاراً للأحسن والأكمل — أن نقف عاجزين لا ننقل إلى لغتنا تراث الفكر الغربى وأرسطو خصوصاً ؟ إن ترجمة كتب أرسطو التى قام بها معالى لطفى باشا عمل جليل لا يحدث مرة فى كل قرن ، فلا ضير عليه أن يقال فيه ما يقال — فللعامل أن يعمل وينتج ، وللعاجز أن يقف جامداً ، ثم لا يملك الا أن ينتقد فالهدم أيسر من التأسيس والبناء .

وبشاء الله إنصافاً لصاحب هذه المهمة الجليلة أن يقفى على آثار المترجم الفرنسى بصاحبه المصرى فيما ولى كلاهما من أمور الأستاذية وشئون الحياة ، ليتشابها فى ممرض المقارنة فى كل شىء كلاهما أستاذ لكرسى الفلسفة الإغريقية فى جامعته هذا فى الكوليج دى فرانس وذاك فى الجامعة المصرية : وكلاهما ناقل أرسطو ومترجمه إلى لغته ؛ هذا فى الفرنسية وذاك فى العربية ، وكلاهما آخر الأمر وزير لخارجية بلاده : هذا فى فرنسا وذاك فى مصر ؛ كما قلت فى تقديم محاضرة كان ألقاها بكلية الآداب وهو وزير للخارجية .

فاطمئنوا إذن إلى أن الترجمة العربية التى بين يديكم ترجمة معتمدة ، وتعريب ثقة ، وإن كان على الطالب المجتهد والباحث المخلص ؛ أن يكمل موقفه دائماً بالرجوع إلى الأصل فى اللغة الأوربية التى يجيدها — ولديكم فى الانجليزية والفرنسية ترجمات كثيرة متداولة ، فارجعوا إليها ؛ فاذا كان لابد لقارىء أرسطو أن يرجع إلى لغة ثانوية حين لا يجيد اليونانية — وقل من يجيدها حتى من كبار المؤلفين فى أرسطو أنفسهم — فلتكن أقرب درجةً أو درجتين من الأصل ، ففى كل تقريب أو تقرُّب من الأصل حسن « للفهم واختصار » لمقام الترجمة — أعنى أنَّ من يقرأ أخلاق أرسطو — مثلا ، فهى موضوعنا هنا — فى ترجمة سانتهيلير الفرنسية يكون فى الدرجة الثانية ، والذى يقرأها فى العربية أقل درجة ، أما قارئها فى اليونانية ففى الدرجة الأولى — وأين هو إلا أن يمتَّ إلى اليونانية بسبب أقوى من مجرد الدراســـة ؟

ونعود إلى ما كنا بصدده قبل أن نستطرد هـذا الاستطراد الضرورى .

فاذا قد فرغت من قراءة النص وهضمه واستيعابه فى الكتاب المقرر ، والصفحات المعينة ؛ فاعمد إلى ترك الكتاب جانباً ، وتناول بعضاً من الكتب التفسيرية فى المذاهب الأخلاقيـة عامة ، وفى مذهب أرسطو — وخصوصاً الأخلاق الأرسطالية — خاصة .

وأهم ما أشير به عليك فى المكتبة العربية — وبؤسفنى ألا يسمح وقتك وسلامة لغتك أن تقرأ عن أرسطو فى الانجليزية أو الفرنسية — هذه الكتب هى فى درجة من الجودة لا بأس بهـا ؛ بل إن بعضها ممتاز حقاً ؛ فاستعرضها فى يقظة وحذر .

إبدأ أولا بما جاء فى كتابك المدرسى المقرر عن أرسطو — فاقرأه واستظهره ؛ وفى ذلك فائدة مزدوجة ، وأساس عام قوى متين ؛ وإطار سوف تفرغ فيه معلوماتك وتحصيلك .

اقرأ بعد هذا عن أرسطو فى كتاب كقصة الفلسفة اليونانية للاستاذين أحمد أمين بك وزكى نجيب محمود — ففيه عرض مختلف بعض الشىء لنفس المعلومات تقريباً — ولكن فى أسلوب هو إلى الأدب أميل — والفلسفة تتطلب الدقة وإحكام التعبير ، وإنما أشير بهذا الكتاب لأنه يهيىء لك انسياق الفكر ، وانطلاق اللفظ ، ليتصرف قلمك فيما حصلت بحرية وجرأة وشخصية — ومثل هذا الكتاب يحقق لك هذه الفائدة (ص ٢١٢ — ٢٧٧) .

وثمة كتاب فى العربية قائم برأسه عن موضوعه أرسطو ، للدكتور عبد الرحمن بدوى ، وهو منهج لدراسة أرسطو أولى منه دراسةً كاملة أو مادة وافية ، وتطبيق لهذا المنهج على بعض أجزاء الكتب

أنـــــات

الاستاذ عمر النص

لا تراعى ... تلك دنياى التى مات سناها
واحت ألوانهـــا الغر ورثت صفحتاها
تلك دنيـاى التى أبدعت بالأمس رؤاها
وسألت النور لا يبرح ما عاش فضاها

تلك دنيـاى التى عشت على وهم رقاها
خنقتها يقظة الجرح وسالت فى دماها
فإذا بالحلم المبـــدع قد جف وشاها..
وإذا اليأس الذى حاذرت قد كان طواها!
عبثاً أسأل أن تحيا .. فقد حم رداها ..
لطمتها قبضة الدهر وقالت : لن تراها!

... ...

تعبت روحى .. فمن يملأ بالرغبة حسى ؟
من ترى يصغى إذا رتلت أناتى وهمسى
حين تغذى العين بالدمع ... فماتكم يأسى
حين يأوى الطير للوكر ويطوى كل نبس
أرمق الأفق ... وفى عينىَّ أسترجعُ أمسى
وتضل العين فى الأفق ويثأى بى هجسى!
عجباً ... تنكرنى الأرض ... فمن يألف نفسى
أنا ظمآن فهل فى الناس من يملأ كأسى
ليتنى أستطيع أن أمحو بالأدمع بؤسى
إن ألك الفجر الذى مر ... فلم تشرق شمسى ؟!

... ...

تعبت روحي ... فما أبصر فى الأرض طريقاً
سرب الوهم على الأفق ... فلم ألف صديقاً
الصـــبا ضاع مع القلب وقد كان رفيقاً
والرؤى جفت فما ألمح فيهن بريقاً..!
أيها الآمل على الرمل ... لقد زدت خفوقاً
أنت أغريت بى الشوق وفجرت العروقا
كلما خلتك ماء .. ردنى الرمل مشـــوقا
عجباً أيتهـا الأرض لقد زدت عقوقاً ...
كلما قلت طفا اليأس جرى اليأس عميقاً
قدر أركن إن نام... وأخشى أن يفيقا!

... ...

تعبت روحى ... فمن يحمل للروح عزائى ؟
أنا ناى فى فم الأيام قد جف غنـائى
أنا شيخ لم يدع منه القضا غير ذماء

الأرسطية يتكون من مذهب متكامل تقريباً ، والجزء القليل الذى أورده عن «الأخلاق» (ص ٢٥٥ – ٢٦٤ من الطبعة الثانية) كفيل بأن يثير بعض المشاكل فى نظرية الأخلاق ، وأن يوجهك إلى كثير من الاعتراضات .

إلا أن مرجعك الأهم الذى يجب أن تتلمذ له وتعول عليه هو كتاب : تاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم — فهو كتاب قيم حقاً، تمتاز به المكتبة العربية فى الفلسفة، لما يتميز به من الإخلاص والوضوح والدقة والأسلوب العلمى — وأرسطو فيه على درجة من الوفاء وحسن العرض قلَّ أن يظفر بهما فى مرجع عربى آخر .

وفى ربط نظرية الأخلاق الأرسطية بالنظريات الحديثة الأخرى؛ ارجع إلى كتاب المدخل إلى الفلسفة للعلامة أوزفلد كيلبه الذى ترجمه الأستاذ أبو العلا عفيفى إلى العربية — ففى فصول من هذا الكتاب تجد عرضاً واضحاً ومناقشات لكثير من وجهات النظر الحديثة فى هذا الباب، وفيه ذكر أسماء بعض الفلاسفة الاخلاقيين من الإنجليز والألمان والهولانديين ومذاهبهم ، يجب أن تلمَّ به وتقارنه بمذهب أرسطو لتربط مذهبه بما قبله وما بعده .

ولستُ فى حاجة إلى أن أوجهك لما فى مقدمتى المترجمين المصرى والفرنسى لكتاب أرسطو — الذى بين يديك — من فائدة ، الأولى فى التعريف بأرسطو وكتبه ، والثانية فى عرض المذاهب الأخلاقية وتاريخها وفلاسفتها — على عادة سانتهيلير فى كل ما ترجم لأرسطو ، فما أحسب إلا أنك قد أقبلت على قراءة التصدير والمقدمة فأتيت عليهما قبل أن تشرع فى دراسة الجزء المقرر من الكتاب .

فاذا قد وقفت على ما أشرتُ به عليك من هـذه القراءات ، فموعدى معك فى الحديث عن أرسطو ونظريته فى الخير والسعادة المقالُ التالى .

كمال رسوقي

أستاذنا محمود زناتي

الاستاذ محمود رمزي نظيم

قضيت وما فى القضـــاء عجب
والموت فى كل نفس ســـبب
أرى الروح خـــير هبات الآلـ
ـه ومنهـــا الحياة التى تستحب
وحسبك أن فنـــاء الجسـ
ـم خـــلود لأرواحنا يرتقب
وقفت أناجيك فى الناهبين وفى القلب قد شب وقد اللهب
أثقلته وطأة الداء وبرحاء العيـــاء
يقحم الدهر ... فيلقيه مدى الكبرياء !
عجباً ... واليأس لا يرحم دأبى ... ما بقائى ... ؟
أنا لولا بارق الأمس تناسيت رجائى
وخنقت الشكو فى فىَّ وأهرقت إنائى !
ويك يا نفس ... أما طال على الأرض ثوائى ؟
لم أحيـا ... والعذاب المرُّ ما زال غذائى ؟ !
... ...
لا تراعى ... فزمان الأنس قد مرَّ وحيا ...
وانطوى أمس ... فلم يترك سوى الذكرة ريَّا .
عبثاً يسألنى الدهر ... فما كنت نسيَّا ...
أنا أهواك وإن عشت مع اليأس مليا
أنا أهواك وإن لم يبق شىء فى يديا
لا تراعى ... أنا ما زلت كما كنت وفيا !
فاذا ما أقبل الموت ... فلن أوقر عيا ...
سوف أسترجع فى البال هوانا القدسيا
وأرى الجفن وقد أقبل أسوان شجيا ...
يطبق الهدب عليه ... ثم ... لا أبصر شيأ ... !

يقولون محمود مات وما
أقام له صحبه ما وجب
إذا ما رثاه « إمام البيان »
وأثنى عليه « عميد الأدب »[1]
وهذا يشار له بالبنان
وذلك فى الكون فخر العرب
فكل فتى شاعر قد رثاه
وكل فتى ناثر قد كتب
وكان « الزناتى » عطر الندى
وكان مثار الحديث العجب
رزين وقور حمته الكرا
مة فى ثوبها وغاء الحسب
تجلى بحـــلم يزين الرجا
ل ويصدف عن زوات الغضب
أديب تخصص فى الاطلا
ع وحصل بالفضل من قد ذهب
وأصبح مرجع أم اللغـــا
ت وقد صيرته « لسان العرب »
أمين على العلم يلقى الحديـ
ـث كأن الحديث « شذور الذهب »
وقد كان يطـرب للمنشد
ين وفيما يقول جماع الطرب
فيا مسعى هل نسيت وهل
أعدت الى فضله ما وهب
هو الآن تحت ظلال النعـ
ـيم وقد ضمه الخلد بعد النصب
فيارب هـذا حبيب النبى
وكل محب مع من أحب

أبو الوفاء محمود رمزى نظيم

(١) إشارة الى رثاء الأستاذين له والزيات فى الأهرام والرسالة

الأدب واللغة في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

نضحات قلب

هو قلب صديق الشاب الأديب الطالب باحدى كليات الجامعة وهو من البراعم الأدبية التي يرجى من نضجها ثمرات ، كما ترى من رسالته هذه التي كتبها إلى ، قال :

أكتب إليك وأطيل ، لأن على شفتي بسمات تريد أن تنطلق بين يديك ، ولأن بين جفني عبرات تريد أن تنسكب على راحتيك ولأن بين ضلوعي نخنقق كلمات ، وتحتبس أنات ...

وأسألك أن تقرأ كتابي على مهل . . على فراغ بال وهدوء حال . وقد يبدو الأمر في أوله تافها ، وقد يبدو مسليا ، وقد لا يبدو تافها ولامسليا .. تمروه مسحة الجدو تخضبه آية الصرامة وإن الموجة لتملأ عرض البحر إذا وقع فيه حجر ، ومعظم النار من مستصغر الشرر . وهأنذا أثر مكنوني قبل أن يستشري فيستعصي ، عساك تطب له بمبضعك . وأظن أنه لا يخفى عليك الآن أنها أعراض حب — ياطبيب النفوس — ولكنها أعراض اختلطت علي حتى حسبتني منها معافى .. فسرت في طريقي لا أحنف عن الجادة ، حتى ارتطمت بصخرة الحق الصلبية ، فرجعت أدراجي ، تولول في جانبي الحيرة ، وتفهق في حشاي الظنون . وليس الحب على بغريب . . بل إن عهدي به لقريب ، وأوشك أن أقول ماقال أبو الطيب :

أبنت الدهر عندي كل بنت
فكيف وصلت أنت من الزحام

ألا ترى معي ان الحب حي ! وأنه من بنات الدهر ! وبالهن من بنات ! !

هذه هي البسمات التي تريد أن تنطلق بين يديك . ودونك العبرات .

ويبسط لي الصديق قصته مع فتاة تزامله في الكلية وتصادفه في بعض الأوقات بقطار الضاحية التي يسكنها ، ويقول إنه جلس مرة في القطار متعبا لا يكاد يتبين من بجانبه ، ولما وصل البيت وخلع ثيابه وقعت منها على الأرض ورقة التقطها فوجد فيها : (أحبك . أحبك . أحبك ـ أنا) ثم يقول : « ابتسمت وأيم الحق ، وطفقت أناملي بالورقة الدقيقة الرقيقة ، فصارت اثر على صفحة الإهمال .. ولم أكن أدري أن هذه الورقة الصغيرة ستثير لمرضها المزق وشرعها المهان . . فقد انسربت مادتها إلى واعيتي الباطنة ، وأخذت تفرخ وتتكاثر حتى أصبحت عالما من الحب له أربعة جدران أحدها (أحبك) والثاني (أحبك) والرابع (أنا).

أي طيف هذا ؟ ومن التي تحبني ؟ حقا إنها قاسية ...

وفي الكلية وجدت طيفا كأنه يحوم ليقع ، على عينيه نظارات تتكسر ، وفي جوهره فتنة تستيقظ ، كأني كنت معه على ميعاد وكفكف قلبي من كبريائه ، واندلعت في جوانحي الحيرة . أهي « أنا » ؟ ! آه ياقلبي أتريد أن تعرف السر ؟ إنك إن سألت الزميلة فمن يدري ، اماها تصدمك متذرعة بالعفة والاستقامة » إلى أن قال « وأنا في غمرة هذا اللج المختلط أسألك أن تشخص الداء أو تنير الطريق ، أترى الورقة الدقيقة الرقيقة قد انتقمت لكبريائها حين فركتها بأناملي ؟ ولي رجاء ياصديقي ، إن عرضت لهذا القلب في أدبك وفنك ، ألا تذكر اسم صاحبه ، فان له أسرة تحب التقاليد وإن هذا الأمر لم يعرفه — غير الله — سواي وسواك » .

وأنا لن أطب لهذا الصديق الملتاع ، وما أنا طبيب نفوس كما قال ولا شيء من هذا ، ولعلي ألقاه قريبا فأتندر عليه . . على أني ألاحظ أن قصته تبدأ ، ولا بد أن تنكشف له الأمور فيما بعد . وعلى أي حال فاني أدعه الآن في هذا اللج المزبج من القلق والحيرة والألم الذي يستعذب في الهوى .. لأخلص إلى موضوع عام .

هؤلاء الطالبات في الجامعة ، أمرهن عجيب ، فلاهن سافرات ولاهن محجبات . تراهن في الصف الأول من قاعة المحاضرات وتراهن في غير أوقات الدرس منزويات ينطوي بعضهن على بعض يسئن الظن بالطلاب ويؤولن كل حركة وكل كلمة بما يتفق وسوء الظن وقد يكن على حق في بعض ذلك فان كثيراً من الطلاب تعد حالة الاختلاط جديدة عليهم . والطالب

يرى من بعيد ويخال. وتنشأ هنا وهناك أحلام ووساوس. وفي مثل هذه الظروف يتوهم الحب أو ينشأ ولكنه لا يكون دائما ثابت الأساس لأنه لا يدوم مع التجربة والتعرف. وما زلت أنا أذكر الفتاة التي كنت أسمع عنها ولا أراها فكونت لها صورة في نفسي وأحببتها فلما رأيت الفتاة لم أجد فيها شيئا من ملامح الصورة، فأعرضت عنها وعكفت على صورتي! ولعل أكثر حوادث الحب ما يقع على بعد، فلو انتفى البعد في مائة من الحالات فقد يثبت واحد من المائة فقط. ولو تم ذلك لفقد الأدب ثلاثة أرباع أشعار الغزل.

فلم الاسبوع

هو فلم «ليلة العيد» وقد عرض أخيرا بسينما الكورسال. وضع قصته أنور وجدي، وأخرجه حلمي رفلة. ومثل أهم الأدوار اسماعيل يس وشكوكو وشادية وحسن فايق ولولا صدقي واشترك معهم آخرون.

وليس في الفلم من اسمه «ليلة العيد» غير أن أول منظر فيه أراجيح وصبيان يتواثبون ويرفعون أصواتهم بكلام فيه لفظ العيد ويعقب ذلك منظر مسرح كأنما ذهب الناس إليه ليلة العيد.. ويلعب على خشبة المسرح ياسمينة (شادية) ورشوشو (شكوكو) وسوسو (اسماعيل يس) وينزل الستار فيهرع صاحب المسرح إلى ياسمينة ويبدي لها إعجابه ثم يغازلها، فتشعر بجرأته في المغازلة فتصده في عنف ويقبل أخواها سوسو وشوشو، فيعتديان عليه بالضرب ثم يفصل صاحب المسرح الاخوة الثلاثة من العمل بمسرحه. ثم يرون إعلانا عن حاجة أحد المسارح إلى مغنية صغيرة جميلة، فتذهب ياسمينة إلى مقابلة مدير هذا المسرح فتخطىء شقته وتدخل شقة أخرى بجوارها فلا تجد فيها أحدا، ثم تدخل الشقة فتاة (لولا صدقي) ومعهما ثلاثة رجال هم إخوتها، ويدور بينها وبينهم حديث يفهم منه أنها اصطادت شابا غنيا (ابن باشا) وأنه يوشك أن يحضر، ثم يقبل الشاب ويتهمك مع الفتاة في مبادلة الغرام، ويفاجئه الإخوة الثلاثة، ويضطرونه إلى دفع ألفي جنيه وإلى التوقيع على تعهد بزواج الفتاة. ويجلس الجميع للعب الورق، وتسمع ياسمينة كل ذلك وتراه وهي بحيث لا يرونها، وتتسلل تحت منضدة اللعب، وتتمكن من أخذ ألفي جنيه سرقها أحد الإخوة من الشاب ودسها من تحت المنضدة قاصدا دفعها إلى أخته

كشكول الأسبوع

□ صدر مرسوم ملكي بتعيين الأستاذ محمود تيمور بك عضوا عاملا بمجمع فؤاد الأول للغة العربية؛ وسيتخذ المجمع الإجراءات المتبعة لاستقباله في جلسة علنية يحدد موعدها قريبا.

□ صدر في العراق ديوان الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري، واستقبلته الصحافة العراقية بما يليق بمكانة صاحبه من الحفاوة والتقدير!

□ أذاعت وكالة الأنباء العربية من بغداد أنه ينتظر أن تشتري الحكومة العراقية حقوق نشر كتاب «العراق الجديد» الذي وضعه المغفور له الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني عقب رحلته إلى العراق سنة ١٩٤٥.

□ دعت وزارة الخارجية المصرية إلى حفل أقيم في الأسبوع الماضي بالأوبرا للاحتفال بذكرى الموسيقي البولوني شوبان. وكم أود أن تدعو وزارة المعارف أو وزارة الشؤون الاجتماعية إلى الاحتفال بأية ذكرى من ذكريات شعرائنا وأدبائنا وشعرائنا الراحلين ورحم الله شاعرنا القائل:

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس

□ أشار الدكتور طه حسين بك في مقال بالأهرام، إلى أن كتابا له منع طبعه في مصر فطبع في لبنان. وتذكر أنه كتاب «المعذبون في الأرض» ومن الغريب أنه نشر فصولا في مجلة الكاتب المصري ومنع نشره كتابا!

□ دعا الدكتور طه في كلمته في احتفال المعلمين بتكريمه، إلى أن يمتنع المعلمون عن تأدية المصروفات المدرسية المطلوبة لأبنائهم وقال إن الدولة يغيظها «أن تسخى من هذا الرجل الذي يسهر سواد ليله على الكراسات وبياض يومه في التعليم ولا يجد ما يقيم الأود».

□ أذاعت إحدى شركات الأنباء أن شركة فكس الأمريكية أتحفت فلما اسمه «كل إنسان يفعل ذلك» بمعرض الحياة فاطمة الزهراء، فاحتج شيخ الأزهر وغيره من الأفراد والهيئات. ثم تبين أن الفلم ليس فيه شيء من ذلك ولا علاقة له بالحياة الإسلامية، وأصدرت وزارة الداخلية بيانا رسميا بذلك. ويظهر أن المسألة ما هي إلا دعاية للفيلم على الطريقة الأمريكية!

□ جاء في كلمة لسليمان نجيب بك في مجلة «الإستديو» يصف انتباهه للمسرحيات: «وهنا ما يقول عنه علماء النحو — السهل الممتنع» وما كنت لأهتم بأن أقول له: إن هذا من كلام الأدباء لا علماء النحو، «لولا أنه مدير دار الأوبرا الملكية» وأنه في معرض الفخار الأدبي!

□ صدر كتاب «مع أبطال الإسلام» للاستاذ عزت حماد منصور، وهو يتناول بالدراسة النافعة طائفة من أعلام الصدر الأول.

□ ألفت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية لجنة من المختصين، لتقوم بتأليف كتاب جامع عن «جغرافية العالم العربي» ووضع المصورات اللازمة له. وتوالى هذه اللجنة اجتماعاتها تمهيدا للبدء في إخراج هذا الكتاب.

فتلقفها يد ياسمينة . ويشمرون بها فتجرى منهم وتنطر من النافذة ، ثم تقفز إلى نافذة أخرى فإذا هى فى شقة مدير المسرح الأستاذ حمودة الذى يراها ويدهش منها ، ثم يعلم أنها مغنية أتت للعمل بالمسرح فيرحب بها ويتفقان على أن تحضر إلى المسرح ومعها أخواها ، ثم تقبل زوجته فتفر ياسمينة من النافذة .. وتذهب إلى أخويها ، ويتفقون على الاحتفاظ بالأمانى الجنيه فى ثنية اللحاف ، ثم يذهبون إلى الأستاذ حمودة بالمسرح ، ويعملون بهذا المسرح الجديد ، ويرى الشاب ابن الباشا يتردد على ياسمينه ، وقد دب عليها مرة فى منزلها . وهو يقول لها إنه يريد أن يتزوجها ولكن والده الباشا يريد أن يزوجه تلك الفتاة التى تعهد بزواجها .

ثم يحتفل الباشا بزواج ابنه ويحضر فرقة ياسمينة لتحيى الليلة ، وهناك يحدث هرج ومرج ، وتختلى ياسمينة بابن الباشا فتفضى إليه بحقيقة الفتاة العروس وتفقده الأمانى الجنيه التى كانت سرقت منه . ثم يعلن ابن الباشا أنه لن يتزوج إلا ياسمينة ، فيبرز الاخوة التعهد الذى وقعه ويدفعونه إلى الباشا . ولما تتجسم العقدة فى هذا التعهد يحلها إسماعيل بس بفمه ... إذ يخطف الورقة ويبتلعها ! وتكون النهاية السعيدة التى يرقص فيها الجميع ويغنون حتى يشبعوا رقصا وغناء .

والواقع أن المقصود بحوادث القصة أن تكون خيطا للاستعراض ... فالغناء والرقص والتهريج على المسرح الأول والثانى وفى منزل الباشا وفى الطريق وفى كل مكان ... هو المقصود وليت الخيط مع ذلك سليم أو متصل ، فهو ليس واهيا فقط وإنما هو متقطع يبدو فيه مؤلف القصة مبهور الأنفاس وقد نفر منه الخيال وخاصمه السبك ، فيوصل المناظر والحوادث بالقوة والعافية .. فهو يجبل الفتاة تخطىء الشقة المقصودة لتدخل شقة أخرى ، والأمر إلى هنا طبيعى ، ولكنه يلق فى روع أصحاب هذه الشقة أن يتركوها مفتوحة وهم غائبون .. لماذا ؟ لتدخل شادية فتثنى متنقلة من غرفة إلى أخرى حتى يظهر صاحب البيت ويبين .. وما دام الأمر لا يسير وفق المعقول فلا مانع أن تنقلب الفتاة إلى قطة تتسلل تحت المنضدة وتتمسح بالأرجل وتأخذ النقود وهى ثابتة الجنان لأنها واثقة من أن المؤلف والمخرج يضمنان لها الأمان ويعهد ان لها سبيل القفز من النافذة ! وليس بعسير بعد ذلك أن تكمل دور القطة فى الشقة الأخرى ..

وليس لك أن تسأل : كيف عرف ابن الباشا منزل ياسمينة فأتى إليها به ليلا ؟ وكيف نهضت إليه دون أن يبدو عليها أى ذعر ؟ ولماذا لم تفض ياسمينة إلى ابن الباشا بحقيقة من احتالوا عليه وتعطيه النقود إلا ليلة العرس وقد التقيا مرارا قبل ذلك ؟ ليس لك تسأل عن ذلك أو غيره من كثير ، لأن المؤلف يريد ذلك أو هو لا يجد غير ذلك . أما إن سألت عن الحكمة فى وضع النقود فى ثنية اللحاف فأنا أجيبك بأن المقصود أن يحمل شكوكو هذا اللحاف فى كل منظر بعد ذلك ليبدو مضحكا . . ولا يفوتنى أن أعبر عن إعجابى بالحل الموفق الرائع الذى قام به « فم » اسماعيل بس الواسع .. فقد عرف المؤلف أو المخرج أو كلاهما كيف يستغل هذا الاتساع العظيم فى حل المعضلة !!

والحقيقة أن الأبطال الثلاثة ، اسماعيل وشكوكو وشادية ، كانوا ظرفاء فى مواقف الفلم ، وإن كانت شادية ينقصها التمرين على إجادة التمثيل ، وقد استخدم غناؤها مع الموسيقى استخداما حسنا . وفى الفلم مواقع تستثير عواصف الضحك . ونتيجة ذلك أن « الاستعراض » يؤدى غرضه فى هذا الفلم . وهنا الخطر ! فان عرض هذه الألوان فارغة من أى هدف فنى صحيح وفى قالب مهلهل من القصص البعيد عن معترك الحياة ، وضمان النجاح المادى مع ذلك — مما يهدد فن القصة السليم فى السينما .

ولست أدرى أى فرق بين الشركة التى تنتج هذا النوع من الأفلام وبين « متعهدى الحفلات » الذين يقيمون الحفلات الاستعراضية ، سوى أن الأولى تطبع صورا يتكرر عرضها ، وحفلات الآخرين تنتهى بانتهاء عرضها .

عباس خضر

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

الأستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة لصفوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

وثمنه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

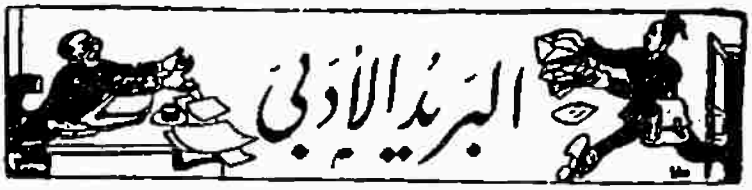

اقتبست ولم أسرق :

قرأت في العدد ٨٥٧ من مجلة الرسالة الزاهرة كلمة للأستاذ أنور المداوي بعنوان (يستاون على أدب الزيات ثم لا يخجلون) قرأت المقال وقد اعتراني ذهول شديد إذ لم يسبق لي أن طالعت العدد المشار إليه من جريدة النهضة العراقية وذلك لوجودي خارج العراق ، وقد أخذ العجب مني كل مأخذ ، ونال الذهول مني كل منال، حين اتهمت بالسطو على أستاذي الكبير أحمد حسن الزيات. والحقيقة إني أحترم الأستاذ الزيات وأجل أدبه واحفظ من نثره ما لا أحفظ لغيره من كتاب عصره . ولفرط إعجابي بأسلوبه البليغ ومقالاته الرصينة حفزني ذلك إلى أن أنقل بعض فقرات من مقاله المنشور في صحيفة ٢٦٢ من كتاب (وحي الرسالة) وقد حصرت هذه الفقرات بين أقواس كما يتضح لكل من اطلع على صورة مقالي المنشور في جريدة النهضة العراقية في السنة الماضية . ولعل الأديب السيد خالد ياسين الهاشمي يريد الدس فحرر هذه المقالة في جريدة النهضة بدافع غير شريف. وأخيراً أقدم كلمة عتاب متواضعة للأستاذ أنور المداوي الذي تعجل في هجومه عليّ من دون ذنب جنيته . وفي الختام أقدم لأستاذي الكبير الزيات إعجابي، ولمجلته الزاهرة خالص التجلة، وللأستاذ المداوي بالغ الاحترام .

بغداد — عبد الخالق عبد الرحمن

أمنى الوطواني

لن أتثنى مثنياً ، وما بي وني عن وفاء ، أو فترة في إيفاء ، أو مرود على جزاء . لكنا أخشى الرائبة تريب أمرينا وتعدو طورها فتهرف بأناء قد ناه حوارا نستنظف به المديح .

وعذيري أنت إن أخضتك غير مخاضنا ، فنفثت إليك شكاتي من أصاحيب رغبوا عن كثر اللغة إلى قلها ، ورضوا بزرها دون وفرها . فما في غير العروف المعدود مقنعهم ، ولا دون ما انضمت عليه الجبهة منشودهم . ولو في حبلهم حطبنا ، ومن قوسهم

نزعنا لركنا إلى الموات مواتا ، ونفضنا اليدين من ألفاظ ما ولدت إلا التعيش ، وما هي بالمتنافرة فتنبذ ، ولا بالمخشوشنة فتلفظ

وما أحشد العامة لما أحشده الخاصة، ولكل مقام مقال.

وبعد ، فالشوط بطين ، وأحسبنا عند المدى أو دونه بقليل فلنحتم الحديث هنا ، لنبدأه بعد في غير حلبة النفس .

وأراك تذكر الحكيم الترمذي ولا تنظر إلى قول ابن العربي « اختلفوا في النفس والروح . فقيل هما شيء واحد وقيل هما متقاربان . وقد يعبر عن النفس بالروح وبالعكس ، وهو الحق » .

ونسيبه قول من عزب عن بالي ربه « النفس جوهر بخاري لطيف يحمل قوة الحياة والحس والحركة الإرادية، وتسمى بالروح الحيوانية» .

وغير هذين فقولي في « التنفيس » رد للفرع إلى أصله المشتق منه، ويهوك مسوق ابن فارس « شيء نفيس ، أراد أنه ذو نفس بالتحريك» . وتظنك مفسداً عليه مقيسه بخشاش الأرض وأسلالها. وفاتك أن الحي ذا النفس نفيس ، إن قيس بفاقده . ذاك أصله . واذكر علته « أراد أنه ذو نفس »

ويحضرني هنا لابن جني في الاشتقاق الأكبر قوله « هو أن تأخذ أصلا من الأصول الثلاثة ، أي الثلاثي والرباعي والخماسي، فتعقد عليه . وعلى تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه وإن تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل إليه »

وإن شئت على ذلك مثلا أو مثلين فخذ « ك ل م » و« ق و ل » في تقاليبها الستة . فتجد تقاليب أولاها على القوة والشدة ، وتقاليب ثانيتهما على الاسراع والخفة

« والنفث » ياسائلي أصل صحيح يدل على خروج شيء من فم أو غيره. فبينه وبين « النفس » جامعة الخروج . وأحدهما أعم والآخر أخص .

« والنفش » مرده كما قلت إلى التفرق والانتشار. أوليس انفصال شيء عن شيء وخروجه عنه انتشاراً وتفرقاً ؟

وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني غور من العربية لا ينتصف منه . من ذاك « ج ب ل » و « ج ب ن » و « ج ب ر » . فجميعها من الالتئام والتماسك . فالجبل لشدته وقوته، والجبان لأنه يستمسك ويتوقف ويتجمع ، والجبر في العظم وغيره لتقويته

وأصول الثلاثي : حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف

يوقف عليه . ومعنانا الذى يدور حوله هنا كما تقول محاكاة صوت وحرفه السين أو ما تنقلب إليه والفاء حشو ، والنون ابتداء .

وبعد ألم أحدثك حديثى عن طول نفس الأديب ، ألم أسق إليك ماوصى به أبوسفيان ابنه شاهدا .

وطيبه ، ألم أسق إليك فيه علته ، وأن النفس مشموم بما يصدر عنه . وهو من الأديب نتاجه ، وأنت حين تشم أنفاس المطهر فتراح لأشد نشوة حين تسمع إلى قول الشاعر :

العـــذل والتفنيد غير صواب ... مع أربع أصبحن من أحبابى
نفس الربيع وصبوة عـــذرية ... ومدامة تجلى وشرخ شباب

ابراهيم الابيارى

الى الاستاذ كامل محمود حبيب

قد اطلعت على مقالك الممنون بمجلة أب فى العدد ٨٥٨ من الرسالة فخلبتنى موسيقيـة ألفاظه وطلاوة عبارته وبراعة أسلوبه ورصانته ، وسحرنى ما خلعت عليه من عرائس البيان التى ترنحت فأطربتنى لكن بغير لسان ، وتركت فى الفؤاد أثراً دونه وقع رنات الثلج !

ولما انتهيت إلى قولك : « والآن ماذا يختلج فى فؤادك الخ » لم ترقنى خاتمته على هـذا النحو ؛ لأن القارىء يميل إلى أن يعرف نهاية القصة بأسلوب ترتاح إليه نفسه ، ويطمئن له قلبه ، وتسكن عنده خلجاته . وأنت قد أبهمت مصير حياة الرجل فلم نعرف : أتخاذل أمام الحزن فهلك تحت كلكله ؟ ـ أم صارع أمواجه ولم يستسلم له ؟ وهل رضيت زوجته بمرارة الفقر المفاجىء ، وسفعات البؤس الباغت ؟ أم فرت إلى بلهنية العيش ورغد الحياة فى كنف أسرتها ؟

وتعبيرك فى آخر القصة « وتنوء تحت أثقال ثلاثة من الفاقة والشيخوخة والوحدة » يفيد أن الرجل فقد كل شىء حتى زوجته وأنت لم تنوه بها فى حوادث القصة كما نوهت بفرار الابن . وكيف كان إخوته إزاء حالته ؟ أشعروا به جزاء مافعل معهم فكانوا عليه ضغثاً على إبالة ؟ أم دفعوا إساءته إليهم ومقاطعته إياهم بإحسانهم اليه ومواساته ؟

وهل الحامل للابن على الفرار هو خشية أن يصمه عار الفقر وذل السؤال كما قلت ؟ أم خشية أن يتساقط لحم وجهه خجلا حينما ترتو اليه عين أبيه بعد ما أفرخ الدهر بيضته وكشف سره ؟ أظن أن الثانى أقوى تدعيما لفكرة الفرار . كل ذلك مما يلفت الأنظار . ويثير الارتياب عند قراءة المقال !

أما اختتامه بما يدور فى خلده ويختلج فى فؤاده دون أن تبين على أى حال استقرت سفينة حياته لا ينفع للنفس غلة ولا يشفى منها علة ... !!

أسيوط محمد محمد خير على عثمان

العدد الممتاز

صدر العدد الهجرى الممتاز حافلا كشأنه بالموضوعات الحيوية الممتازة مملوءاً بالمقالات القيمة التى تكشف عن سر عظمة التشريع الإسلامى وسر عظمة صاحب ذلك التشريع ، وتبين ماتحويه الهجرة من معان سامية وآيات عالية هى قيام ذلك الدين وارتفاع بنيانه وإعزاز أهله وانتشار روح الحب والأخاء والايثار بين أتباعه ، وترفع الستار عن مواقع الزلل وبؤر الفتنة والغواية التى تردينا فيها وارتدغنا فى حمأتها فتدكبنا الطريق وضللنا السبيل وعمينا عن الحق والواجب وأصبحنا فى هذه الحياة نحيا حياة السوائم فى مرعى اللئام . اللئام الذين أسكناهم فطردونا ، وأشبعناهم فأكلونا ، وكسوناهم فعرونا ، وأعززناهم فأذلونا ... وإنى لأتساءل فى لهفة وحرقة هل يقرأ عظماؤنا ومن بيدهم مقاليد الأمور « فى ذلك البلد المسكين » هذا الكلام وهل يعيرونه انتباهاً ويلقون إليه بالا ؟ وهل يدور بخاطرهم ويمر بخيالهم أننا كنا فى يوم من الأيام نسيطر على هذا العالم وندير دفته وغلاه بالعدل والفضيلة ونحوطه بالعناية والرعاية ؟ وهل يذكرون أن الرشيد صرت فوق رأسه سحابة فقال لها « أيتها السحابة امطرى حيث شئت فان خراجك لى »

هل يذكرون هذا أم هم فى غمرة ساهون ؟

أوجو أن يذكروا هذا فتيقظ قلوبهم وتتنبه نفوسهم وتنفى عن جوانحهم تلك الرمضات التى أطفأها الزمن وذهب بنورها تقلب الليل والنهار « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » عندئذ نستطيع أن نهتف فى سمع الزمن قائلين « هذه بضاعتنا ردت إلينا »

سليمان محمود عطا
معهد فؤاد الدين

أخطاء مطبعية :

لم يخل مقالى « إيمان عظيم » المنشور بالعدد الهجرى من الرسالة من بعض أخطاء مطبعية تركت أثرها فى السياق ، أما هذه الأخطاء فقد رأيت أن أثبتها هنا مع التصحيح حتى لا أظلم فطنة القراء .

وردت فى المقال هذه العبارة : « وفى الفن تسطع ومضات الرؤى ويتوهج الأحلام ، وفى الإنسانية تشف نبضات الهوى وتفيض منابع الأحلام » وصحتها ، وفى الفن يسطع ومضات الروى ويتوهج للاوهام ، وفى الانسانية تشف نبضات الهوى تفيض منابع الاحلام ... ثم : « وحسبها أن تهب قلبها لمن تحب ، وحسبها أن تفنى فيه وتنذر له الحياة » صحتها : « وحسبها أن تفنى فيه وتنذر له الحياة » ... كما ورد هذا البيت :

فما الحمد فى ذا ، ولا ذاك لى ولكن الحمد فى ذا وذاكا

وصحته :

فما الحمد فى ذا ، ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

بعد هذا وردت هذه العبارة ، وإنى لأرى ذراعى قد سمن لأحزن » وصحتها : إنى لأرى ذراعى قد سمن فأحزن » ... ثم : « وما أروع العقاب حين يصل المجد وصحتها : وما أروع العقاب الهب ثم أو فى لحظة الهوى التى يخفت فيها صوت الشعور والوجدان » وصحتها : « لأنها فى لحظة الهوى الصارم التى يخفت فيها صوت العقل ليرتفع صوت الشعور والوجدان » ... ثم : يضير لى رأى من هذا العقاب الذى خطر لها يوما أن تتوجه به إلى وحاب الخلق العظيم » وصحتها : لاضير فى رأيى

أسف واعتذار :

بين يدى عدد كبير من رسائل القراء فى مصر والبلاد العربية بعضها يحمل إلى أسئلة فى محيط الأدب والفن تنتظر الجواب ، وبعضها ينقل إلى عواطف نبيلة وتقديرا كريما ، وبعضها يطلب إلى أن أكتب « قصة الدموع التى شابت » ... أما أصحاب القسم الأول من هذه الرسائل فيؤسفنى جد الأسف ألا أستطيع الرد على أسئلتهم فى الوقت الحاضر ، حيث يشغلنى عن ذلك ما أقوم به الآن من دراسة مطولة لشعر المغفور له الأستاذ على محمود طه . ومما يؤسف له مرة أخرى أن تحول بعض الظروف بينى وبين كتابة المقال الخامس من هذه الدراسة فى هذا العدد ، وإلى العدد المقبل إن شاء الله .. وأما أصحاب القسم الثانى من هذه الرسائل فلهم شكرى خالصا على هذه النفحات الروحية السامية التى يوجهونها إلى من حين إلى حين ... ويبقى بعد ذلك : أصحاب القسم الثالث من هذه الرسائل ولهم أقدم أسفى للمرة الثالثة واعتذارى ، إن أبطال القصة التى يطلبون إلى عرضها على صفحات «الرسالة» سيفجر مداد القلم - كما سبق أن قلت - دماء جراحهم إذا ما كتبت ولكننى أعدهم بكتابتها - كما سبق أن قلت أيضا - يوم أن تهدأ الرياح وتلتئم الجراح ، وتكسر أمواج المحنة على شواطئ النسيان

أنور المعداوى

احمد حسن الزيات

يقدم

تاريخ الادب العربى

يؤرخ الأدب العربى من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، ومستيعاب موجز ، وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربى والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات فى ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد